سير الأولياء

في القرن السابع الهجري

لمؤلفه الشيخ

صفي الدين الحسين بن جمال الدين الأنصاري الخزرجي

تحقيق

مأمون محمود ياسين

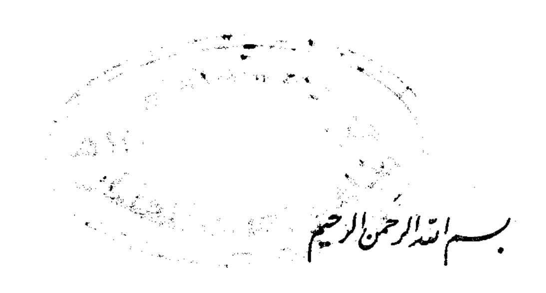
عفت وصال حمزة




سير الأولياء
في القرن السابع الهجري

الطبعة الأولى





بـين يـدي الكتاب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسولـه وبعد . فهذا الكتاب رسالة عن أخبار الأولياء في القرن السابع الهجري ، لصفي الدين الحسين الأزدي الأنصاري الخزرجي . كتبه في الرابعة والثمانين من عمره تلبية لطلب أحد أبنائه إبراهيم .

والمؤلف هو ابن لعلي بن ظافر بن الحسـين الملقب بالصاحب جمال الدين ، والذي كان وزيراً للملك الأشرف : موسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . يتحدث في رسالته عن شيخه أبي العباس الحرار التجيبي باسهاب ، ثم يتكلم عن بقية الأولياء الذين عاصرهم، باختصار تارة وبعض التفصيل تارة أخرى . كالشيخ القرشي ، والقناوي ، وأبي النجا سالم وغيرهم وغيرهـم وليس المهم في هـذا الكتاب السرد التاريخي ، بقدر ما هو بيان للوضع الاجتماعي لفئة من الناس في تلك الحقبة من الزمن ، وامتدادها بين المغرب ومصر ، بالاضافة إلى الأندلس والشام والعراق . وذلك في القرنين السادس والسابع للهجرة . فيتعرف القارىء على جانب من مجتمع المسلمين، الذين كانوا يشغلون الحيز الذي امتد غرباً من الأندلس ، وأمعن شرقاً إلى العراق . ممن سماهم المؤلف باسم الأولياء وهم غيض من فيض .

وقد أبق هذا المؤلف الشيخ الصفي ، ـ وهو ابن أربع عشرة سنة ـ من دار أبيه الوزير جمال الدين ، إلى دار شيخه التجيبي الحرار وعاش معه حياة الزهد والتصوف كما نرى في هذا الكتاب. والسؤال الآن : ما العلاقة بين الأولياء والمتصوفين ؟ وهل كل متصوف ولي ؟ أو أن كل ولي يجب أن يكون متصوفاً ؟. كل الذي نريد قوله في هذه العجالة أن مرتبة الولاية شيء والتصوف شيء آخر . وبما أن هذا الكتاب قد تحدث عن المتصوفية وسماهم بالأولياء لذلك أردنا الاشارة إلى هذا التداخل . ونحن إذ نحقق هذا الكتاب لا نريد أن نكون مع ولا ضد ، سوى أننا ننصح أن يعرض القارىء كل قصة منه ، وكل خبر على كتاب الله وسنة نبيه ، فيأخذ ما وافقهما ويدع ما خالفهما . وربنا سبحانه وتعالى عرف الأولياء فقال : «ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون» يونس ١٠/ ٦٢و٦٣ والأحاديث في الأولياء كثيرة منها الحديث القدسي : (مَن عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) متفق عليه . وفي سنن ابن ماجه كتاب الزهد : قال رجل : يا رسول الله مَن أولياء الله ؟ قال : الذين إذا رُؤوا ذُكر الله . وللترمذي عن أبي أمامة عن النبي ﷺ : إنّ أغْبطَ أوليائي عندي ، لمؤمنٌ خفيف الحاذ[1] ، ذو حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه ، وأطاعه في السر وكان غامضاً[2] في الناس لا يشار إليه بالأصابع وكان رزقه كفافاً . ثم نفض[3] يده وقال : عجلت منيته ، قلت بواكيه ، قل تراثه .

أما التصوف فشيء آخر : إنهما خطان ـ أي الولاية والتصوف ـ

---

(١) الحاذ : من ليس له أهل ولا ولد ولا من يتعلق قلبه به .

(٢) مغموراً .

(٣) أي الرسول ﷺ .

متوازيان يتباعدان ويتقاربان حسب قوانين القرآن الكريم، وتعاليم سيد الأنام بكل وضوح وصراحة .

وما أصدق الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه بقولـه : « تركتكم على بيضاء نقية ليلها كنهارهـا لا يزيغ عنها إلا هالك » والحمد لله رب العالمين .

مأمون محمود ياسين

عفت وصال حمزة



التعريف بالكتاب

مؤلف هذا الكتاب :

صفي الدين أبو عبد الله الحسين بن جمال الدين أبي الحسن علي بن العلامة أبي المنصور ظافر بن الفقيه المالكي الحسين الأزدي الأنصاري الخزرجي . هذا ما عرفناه من نسب المؤلف[١] . وفي فهرس المخطوطات المصورة دار الكتب أن وفاته سنة (٦٥٧ هـ) .

نشأته وبيئته :

الملاحظ من كتب التراجم واستنتاجات الترجمة الذاتية للمؤلف من هذه الرسالة ، أن والده كان وزيراً للملك الأشرف : موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . نشأ في بيئة مترفة وعيشة رغدة ووسط يخيم عليه الترف والنعيم . وعلى ما يبدو أن المؤلف نزع إلى الزهد بفطرته ، وإلى التصوف كرد فعل لهذه المظاهر ، وتتلمذ على شيخه أبي العباس الحرار[٢] الذي ألف فيه هذا الكتاب وبأمثاله من الأولياء ، مصوّراً لنا تأثره البالغ ، بهذا الاسراف في الترف ، والذي كان سبب تقشفه هو، وإليك ماقاله في هذه الرسالة[٣] : « كنت وراء

---

(١) رجعنا إلى ترجمة والده في نسبه . وذلك من مقدمة « الشهاب الثاقب » للسيوطي (ص ٧) وإلى « معجم الأدباء » لياقوت ١٣/٤٦٤ وإلى « فوات الوفيات » ٢/١٠٦ .

(٢) نسبة إلى الحرير وستأتي ترجمته .

(٣) ق ٢٥ الأصل المصور .

الفرات بحرّان[1] مع والدي في وزارته للملك الأشرف • فلما جئنا إلى مصر بعد سُنيَّات ، بعث الملك العادل الكبير ، والـدي رسولاً إلى مكة ليعين[2] الملك المسعود[3] بن الملك الكامل على اليمن • فجئت أنـا حينذاك إلى الشيـخ وصحبته • وكنت وأنـا صغير إذا ذكـر الشيَّاخ[4] والأولياء تلوح صورته • فصحبته وغيرت هيأتي وكانت هيئة جميلة : الثياب المذهبة ، والبغلة الحسنة وغير ذلك • وهجرت الأكـل ولزمتُ الشيخ ، إلى أن جـاء والدي من مكة في حشكلة[5] عظيمة • وخرج له من مصر سبعون متطيلساً للقائه ، لجمع الاهتمام والخيم[6] • فقال لي الشيخ : تخرج للقاء والدك • قلت : يا سيدي ما بقي لي والد غيرك • وأنا ماأركب له شيئاً من دوابهم ولا آكل معهم قال : تخرج على كل حال • فخرجت على دويبة تحتي جريح أعطانيها الشيخ وخبزٍ وجبنٍ وخيارٍ وسَطْلٍ • وأهلي يبكون على حالي و[7]، وكان لوالدي بغال على الربيع مهيأة ، أخرجوها له مجموعة فلمـا وصلنا « بركـة الحاج »[8] قعـدتُ وحدي تحت السماء ، وكـان الصيف شديداً إلى أن جاء فلقيته وحدي فلم يعرفني هو ولا مـن

---

(١) بلد وراء الفرات ولد بها المؤلف •

(٢) من الإعانـة •

(٣) الملك المسعود صلاح الدين أبو المظفر يوسف ابن الملك الكامل ، ابن الملك العادل ، الملقب باقسيس : ملك اليمن مـات سنة ٦٢٦ هـ • مصادر ترجمته : شذرات الذهب٥/ ١٢٠ ـ النجوم الزاهرة٦/ ٢٧٢ ـ البداية والنهاية ١٢/ ١٢٤ ـ ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب للسيد مرتضى الزبيدي ص ٧٩ •

(٤) في القاموس أحد عشر جمعاً لشيخ ليس فيها هذا الجمع •

(٥) في القاموس لا يوجد حشكلة •

(٦) في الأصل دون نقاط •

(٧) في روض الرياحين : وكنت في هيئة رثة •

(٨) اسم مكان لعلها بركة الحبش •

حوله . وكان حوله عسكر جاء ، ومماليك وخُدام ، إلى أن رآني قال : حسين ؟! قلت : نعم حسين ! وقف واصفر لونه وبهت بهتةً ، اللهُ المسؤولُ أن يثيبَه عليها . ثم مشى وبقوا متعجبين . وإذا بأهلي وإخوتي وكل من خرج من الطوايف وصلوا واجتمعوا وأنا في ناحية واحدة . فلما نزل البركة قُدمتْ التقاديم[1] . وجمع على سماطه كل من جاء معه وكل من خرج له ، إلا أنا لم أحضر . وبقيت في جهة أبكي بكاء أسير قد أخذ من أهله وحُيل بينه وبين من يحبه . وما بكيت عمري ألذ من هذا البكاء آخر الحال هددوني بالقيد والحبس إن لم أعد لما كنت عليه معه ، وأخبرت الشيخ بذلك فطردني وقال : رُح لأبيك ولا ترجع تأتي إليَّ ، فكنت قلقاً وكنت أنشد ما قاله مجنون ليلى :

جُننَّا بليلى ثم جُنَّت بغيرنا وأخرى بنا مجنونة لا نريدُها

وأطلعني الله على سر مقصود الشيخ ، أنه أحالني على صدقي ليكون بريئاً من الحَظر والقصدِ فيَّ . فانشرحت لذلك من جهة الشيخ ومضيتُ إلى دار والدي ، وحبستُ نفسي في خزانةٍ في علو الدار . وآليت على نفسي ألا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا أخرج ، أو أُردَّ للشيخ على ما أُحب . فسأل والدي عني فأخبروه بطرد الشيخ لي، وبما صممت عليه فقال : بعدي تجوع وتحتاج . تأكل وتعطش، وتحتاج ماء تشرب . فأقمت إلى ثالث يوم فاستيقظ ـ يعني والده ـ وقال لي: قولوا له يروح للشيخ ويفعل بنفسه مايختار . فقلت: لاأروح أو يروح والدي للشيخ ويسأل قبولي . وقصدت عزة الشيخ بذلك فقال : نعم . فاستدعاني وخرج ماشياً من بيته إلى مسجد الشيخ وأنا

(١) يقصد ما يقدم للأكل .

معه فقبّل الشيخ فقال : يا سيدي هذا ولدك تصرف فيه • وأود لو كنت مكانه فقال له الشيخ : أرجو أن ينفعك الله به • وسلمني للشيخ ومضى آجره الله وجزاه عني خيراً » •

نقول : وهذا السلوك الذي سلكة المؤلف يذكرنا بقصة أبي العباس أحمد السبتي بن هارون الرشيد، وكيف أنه زهد في المناصب والمُلك وأقبل على التجرد والعبادة •

هذا قبس من نشأة المؤلف وسلوكه الطريق • اقتبسناه من كلامه، لعدم وجود نص تاريخي ينبئنا عن حياته • وفي ق ١٢٤ أن المؤلف سلك الطريق في سن الرابعة عشرة •

نبوغ الشيخ ومكانته :

ليس لدينا أي نص تاريخي نرجع إليه عن حياة المؤلف غير هذه الرسالة التي بين أيدينا ، وبعض نصوص صوفية أكثر مؤلفوها النقل من هذه الرسالة دون الاشارة إلى أية نقطة أو توضيح ينير لنا الطريق عن حياة المؤلف • وأمثال ذلك من الكتب كثير : كروض الرياحين لليافعي ، والارشاد له ، وطبقات المنادي ، وجامع كرامات الأولياء للنبهاني • وغيرها من النصوص التي تمر مع القارىء ضمن حاشية تحقيق أصل هذه الرسالة •

ولكن من المؤكد أن مؤلف هذه الرسالة ، كانت له المكانة العالية ضمن رجال التصوف في القرن السابع الهجري ، الذي عاش فيه المؤلف • ولم نعرف إن كان للمؤلف كتب أخرى أو تصانيف غير هذه الرسالة[1] • وقد حج وجاور بمكة سنة ٦٢٣ هـ ق ٨٠ الأصل •

---

(١) في دار الكتب الظاهرية في دمشق كتاب مخطوط اسمه (فك الأزرار عن عنق الأنوار ، وهتك الأستار عن معادن الأسرار) جمع فيه مؤلفه كلام شيخه

ومضات عن المؤلف من المخطوطة :

في ق ٢٧ أن الشيخ أبا العباس الحرّار كانت له زاويته في حي بولاق بمصر · وفي ق ٢٨ أول الصفحة وصف زوجته وكيف كان حالها · وفي ق ٢٩ رفاق الشيخ الحرّار في الطريق· وفي ق٥٤ أن جد المؤلف كان فقيهاً ويكثر من الجلوس بجامع مصر · وفي ق ٨٠ أن الشيخ حج وجاور بمكة سنة ٦٢٣ هـ وفي ق ١٢٤ أن المؤلف سلك الطريق في الرابعة عشرة ·

وفاة الشيخ :

جاء في فهرس المخطوطات المصورة في دار الكتب المصرية أن وفاته سنة ٦٥٧ هـ وعند الرجوع إلى كتب التراجم لم نستطيع تأييد هذا النص بأي مرجع آخر إلا في معجم المؤلفين إذ وفاته كذلك سنة ٦٥٧ هـ أي ١٢٥٩ م ··

وصف المخطوطة :

مخطوطة هذه الرسالة على ما نعلم وحيدة · محفوظة بدار الكتب المصرية ١٩٦/٥ رقمها ٣٣٨· وكان معهد المخطوطات بجامعه الدول العربية، قد قام بتصوير هذه الرسالة عن دار الكتب المصرية· والرسالة تقع في مائة وتسع وعشرين ورقة (١٢٩ ق) مسطور كل ورقة ثلاثة عشر سطراً وعدد كلمات السطر ثماني كلمات وسطياً · الصفحة من القطع الوسط طول ١٨×١٢ سم · الخط نسخي واضح سنة ٨٤٠ هـ · أشار إليها بروكلمان في الذيل ١/٥٥٤ ·

صفي الدين أبي عبد الله الحسين بن علي · والكتاب أسئلة وقعت إليه قسمها ثلاثة أقسام : الأول في في تفسير معاني بعض الآيات ، والثاني في الأحاديث ، والثالث في المعارف · مؤلفه سراج الدين عمر بن أبي بكر اليمني المتوفى سنة ··· ؟ ··

موضوع الرسالـــة وأهميتهـــا :

إن هذه الرسالة تحمل في طياتها تراجم لبعض الصوفية الذين يتعذر وجود ترجمة لهم في غير هذه الرسالة وهذا مما شجعنا عـــلى الاقدام على نشرها ٠ بالاضافة إلى سببين رئيسيين :

أولاً : انها نص غريب يصور لنـــا وضع الصوفية في مصر في مصر في القرن السابع وما حول هذه المنطقة ٠ والأفكـــار السائدة والقصائد المتداولة ٠ وإن كان فيها أشياء لا يقرها العقل ٠

ثانيـــاً : بعث تراثنا المخطوط لأننـــا نرى أن أفضل وسيلـــة للعرفان لأجدادنا إزاحة الغبار عن تراثهم ونشره ٠

وقد عانينا في تحقيق هذا النص صعوبات جمة سببها :

أولاً : أن الناسخ على ما يبدو عامياً، يرسم الكلمات رسما ٠ مما حدا بنا إلى تصحيح كثير من الكلمات التي تخالف قواعد اللغة والنحو والامـــلاء ٠ وتعمدنا تـــرك الاشارة إليها لكثرتها ٠ وكمثال عـــلى الأسلوب العامـــي قوله : (كل من يخرجوه من الجماعـــة يتسلموه الزبانية ويحملوه إلى السجن) ق ٤ ٠ وقوله (وبقيت أنا مستحي) ق ٥ أ ، وقوله (وأخذ يبنيني من جديد من كعبي وطالع) ٠ وحتى بالنسبة لاسم كان وخبر إن فأخطاؤه فيهما وبأشباههما كثيرة كقوله : (ولو كان لي حكماً وقدرة بنيت فيه مسجداً) ق ٨ ب وقوله (وفهم عنه أن له مقام غير هذا) ق ٩ أ ٠

ثانياً : عدم وجود نص آخر نعارض به هذه المخطوطة ٠ ممـــا دعانا إلى الأخذ عن المخطوطة نفسها ، في مثل حياة الشيخ المؤلف ، أو الأخذ عن مصادر نـَقـَلت من هذه الرسالة ٠ وثمة مغالاة في أحلام

يتحدث عنها الشيخ صفي الدين ويصر على أنها حقيقة وواقع وليست من قبيل الشطحات وهي تحتاج إلى إعادة نظر • ذلك كقوله: ق ٧ـ٨ (ونسبتي من موسى عليه الصلاة والسلام سماع الكلام أ'سمعته وشهدته ، وأما نسبتي من رسول الله ﷺ فالرؤية لله تعالى: أشهدني نفسه وقال : انظر هل تجد محلاً للزوجة والولد ؟ قلت : لا وعزتك يا رب ، وكان سماعي للكلام وأنا ماشي في سيوفيين القاهرة ـ بعد أن أقمت في الخلوة سنين ـ وأنا أمشي بين الناس[1] ولو كان لي حكم وقدرة بنيت فيه مسجداً فسبحان المجتبي من يشاء •

وقد بدأ رسالته هذه بقوله : سألني ولدي إبراهيم أن أجمع له شيئاً من أخبار الأولياء الذين رأيتهم • فاستخرت الله تعالى وكان هذا ، وقد بلغت من العمر أربعاً وثمانين سنة ، ووضعت ما بقي في الذهن مع ضعفه ، وبدأت بأخبار سيدي الأستاذ الشيخ العارف المحقق أبي العباس أحمد الحرّار بن أبي بكر التجيبي •

وقد بلغت أعلام الرجال في هذا المخطوط نحواً من مائتين وخمسين اسماً وجدنا منها بعد البحث في كتب المراجع نحواً من خمسة وسبعين اسماً عرّفناها ، وأشرنا إليها ، مع ذكر أماكن وجودها في المراجع • أما بقية الأسماء فلم نعثر لها على أصل ، وأكثرها من النكرات الذين لا وجود لهم في كتب المراجع •

---

(١) قوله أمشي بين الناس لينفي أنه سمع ورأى في الحلم : حلم اليقظة • راجع كبرى اليقينيات الكونية لسعيد رمضان البوطي ص ١٣٩ـ١٤٣ • باب رؤية الله •

شكـــر واعتراف :

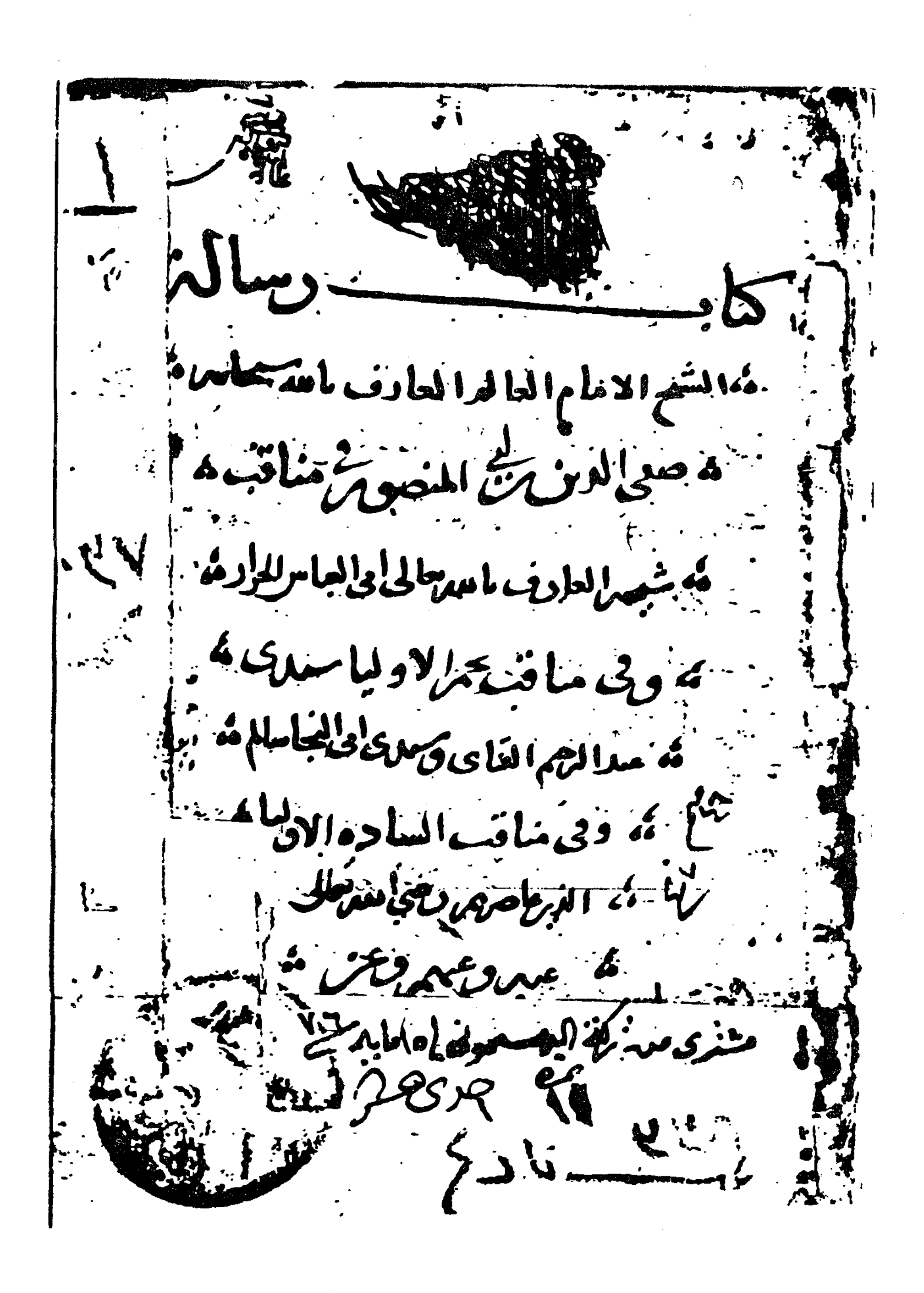
من الواجب أن نشكر الأخ الأستاذ محمد رياض المالح فضله في إخراج هذا المخطوط . فهو الذي نقله لنا من دار الكتب المصريـــة إلى دمشق . وقدم مكتبته وجهده لمعرفة أسماء رجـــال المخطوط . سائلين المولى أن يحقق الأمل من نشر هذا الكتاب ليشارك في رفـــع مستوى الثقافة الاسلامية بمعرفة أدوائها والكف عن إذوائها[١] .

---

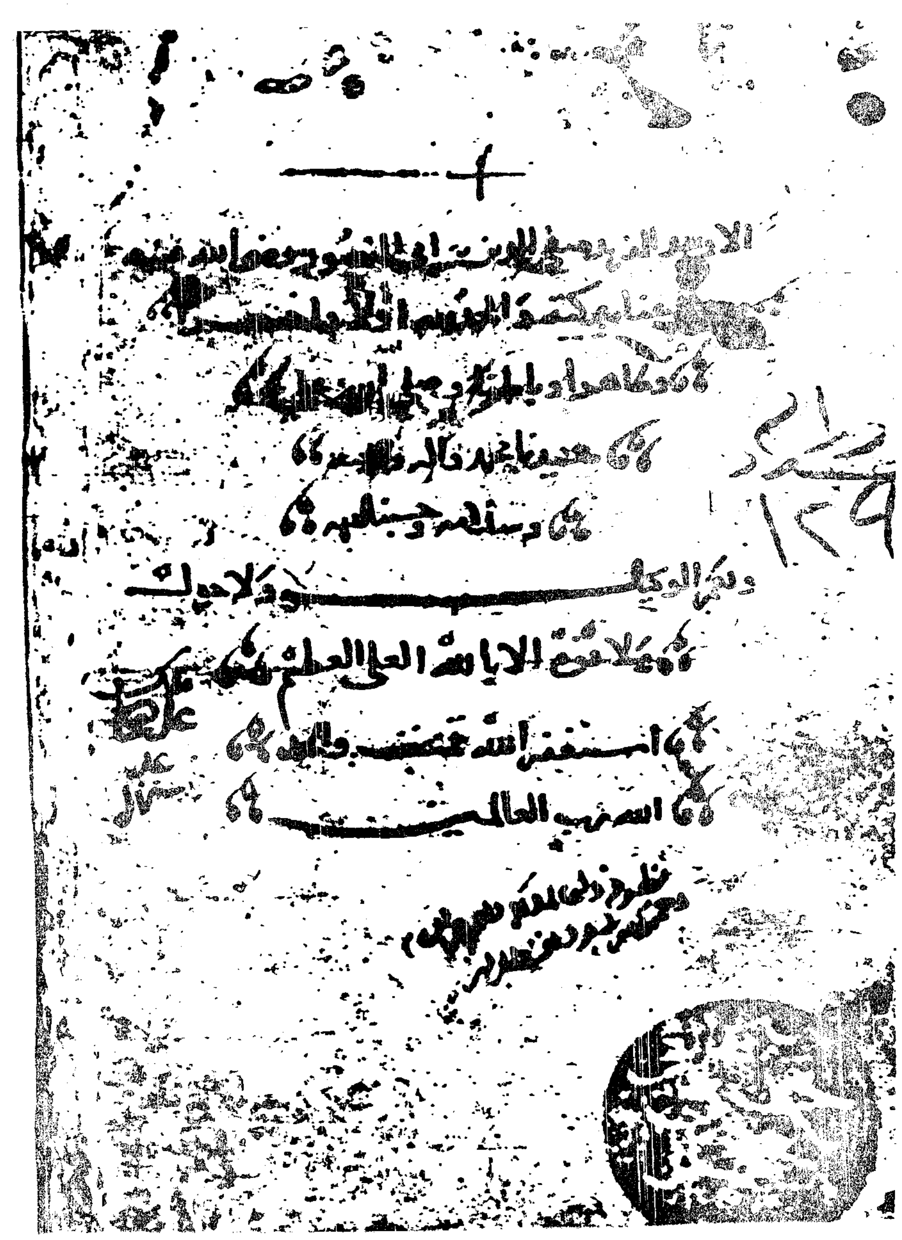
(١) أدويته أمرضته . القاموس ج ٤ ص ٣٢٩ .

كتـاب رسالـة

الشيخ الامام العالم العارف بالله سبحانه صفي الدين بن أبي المنصور في مناقب شيخه العارف بالله تعالى : أبي العباس الحرار ، وفي مناقب نجم الأولياء سيدي عبد الرحيم القناوي ، وسيدي أبي النجا سالم ٠ وفي مناقب السادة الأولياء الذين عاصرهم رضي الله تعالى عنه وعنهم ٠



- الصفحة الأولى من المخطوط -



ـ الصفحة الأخيرة من المخطوط ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر

مقدمة الناسخ :

قال سيدنا الشيخ الإمام ، القدوة العارف ، شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة، مربي المريدين ومفيد الطالبين ، وهادي الضالين إلى رب العالمين صفي الدين أبو عبد الله ، الحسين بن الإمام العالم العلامة الصاحب جمال الدين أبي الحسن علي[1] بن الشيخ الإمام العلامة مفتي الفرق ، كمال الدين أبي المنصور ظافر بن حسين الأزدي الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه ، بمنه وكرمه :

---

(١) والده : علي بن ظافر بن حسين • وفاته شعبان ٦١٣ هـ • وزر للملك الأشرف: موسى بن عبد الملك العادل أبي بكر بن أيوب • ولد سنة ٥٦٧ هـ ، وهو مصري عاش ثمان وأربعين سنة •
وفي « ايضاح المكنون » ذكر للرسالة ١٨٩/٢ : مثال الفريدة رسالة لصفي الدين الحسين بن علي بن ظافر الأزدي الأديب المصري المتوفى سنة ٦٥٧ هـ •
وفي معجم المؤلفين ٣٢/٤ : هو أديب مصري • من آثاره رسالتــه الفريدة •
وفي فهرس المخطوطات الصورة ج ٢ القسم الرابع ص ١٦٥٨ رسالة في أخبار الأولياء لصفي الدين ••• وهي تشمل على مناقب شيخه أبي العباس التجيبي وعبد الرحيم القناوي وأبي النجا سالم وغيرهم •
وفي دار الكتب نسخة كتبت بخط نسخي جيد سنة ٨٤٠ هـ وبها آثار رطوبة في ١٢٩ ورقة مسطرتهــا ١٣ سطراً [دار الكتب ٣٣٨ تاريــخ] وفي بروكلمان [ملحق ١ : ٥٥٤] •
وفي فهرس دار الكتب المصرية : رسالة صفي الدين ••• من علماء القرن السابع الهجري أولها بعد الديباجة : « سألني ولدي إبراهيم أن أجمع له شيئاً من أخبار الأولياء الذين رأيتهم » • والرسالة بخط محمد بن محمد بن يوسف ، فرغ من كتابتها صفر ٨٤٠ هـ •
ونقل منها المقري في نفخ الطيب ١١٢/٧ وكذلك ١٥٥/٧ •
وانظر منها تنبيه الغبي للسيوطي ق ٤٧ ••
وراجع روض الرياحين ص ٤٢٩ ـ ٤٣١ ـ وص ٤١٥ ـ ٤٢٦ ••

سبب تأليف الكتاب :

سألني ولدي إبراهيم أن أجمع له شيئاً من أخبار الأولياء الذين رأيتهم ، فاستخرت الله تعالى ، وكان هذا وقد بلغت من العمر أربعاً وثمانين سنة ، ووضعت ما بقي في الذهن مع ضعفه ، وبدأت بأخبار سيدي الأستاذ الشيخ العارف المحقق : أبي العباس الحرار بن أبي بكر التجيبي[1] .

أخبار أبي العباس الحرّار :

منشؤه باشبيلية من غرب الأندلس ، وكان ينسج الحرير السفلاطون[2] فسمي بالحرّار . وصحب بها رجالاً منهم رجل يقال له ابن العاص كان فقيهاً محدثاً ولياً ، خدمه الشيخ الأستاذ وتلقف منه من الأحكام الشرعية والأحاديث النبوية ما أغناه عن الاشتغال بالعلم على العلماء ، وكان كثير الاجتهاد في بلده، إلى أن سمع بأخبار الشيخ الإمام ، الوحيد الفعال أبي أحمد جعفر الأندلسي ، أخص أصحاب الإمام قطب العارفين أبي مدين شعيب[3] نفع الله ببركاتهم ، فهاجر الشيخ أبو العباس له من اشبيلية غرب الأندلس ، وكان الشيخ أبو أحمد

---

(١) راجع ترجمته في جامع كرامات الأولياء ج ١ ص ٢٩٩ .
وفي روض الرياحين لليافعي ص ٤١٠ ـ ٤١٢ .

(٢) الحرير السفلاطون : نسيج فيه حرير وذهب . راجع « تكملة اكمال الكمال » ص ٣٠٠ .

(٣) هو شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني ، أبو مدين . صوفي من مشاهيرها أصله من الأندلس ، أقام بفاس وسكن ببجاية . كثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور توفي بتلمسان سنة ٥٨٩ هـ و ١١٣٩ م وهو في الثمانين له « أنس الوحيد ونزهة المريد في علم التوحيد » .
راجع الأعلام للزركلي ٢٤٤/٣ ومعجم المؤلفين ٣٠٢/٤ وراجع تعريف الخلف ١٧٢/٢ ـ ١٧٨ والبستان ص ١٠٨ . وجذوة الاقتباس ص ٣٢٢ ونيل الابتهاج ص ١٢٧ وشجرة النور ص ١٦٤ وعنوان الدراية ص ٥ وشذرات الذهب ٣٠٣/٤ ، وراجع ترجمته في دائرة المعارف ٦٠٢/١ عنوان الدراية للغبريني ، « وسلوة الأنفاس » للكتاني ٣٦٤/١ وقد جمع ابن قنفذ سيرة أبي مدين في كتابه « أنس الفقير وعز الحقير » المطبوع في المغرب . كما جمع الدكتور عبد الحليم كتاباً في سيرته طبع بمصر . وراجع « جامع الكرامات » للنبهاني ٣٩/٢ ... وتجد ذلك كثير ...

شرقية ، وخرج جماعة من المريدين من اشبيلية وكان كل منهم له دعوى في نفسه ، فلما وصلوا لبلد الشيخ أبي أحمد قالت رفقته : نزور ابن المرأة كان شيخاً ، وكان يدعي النبوة[1] فقال لهم سيدي الأستاذ : أنا ما هاجرت إلا إلى الشيخ أبي أحمد ولا أشرك أحداً . فوافقته الجماعة ، ودخلوا على أبي أحمد.

الحرار وأبو جعفر الأندلسي :

قال الشيخ : فرأينا خلقاً عظيماً حوله ، ونقباء . كل نقيب تحت يده جمع كثير فأحضرنا بعض الخدام بين يدي الشيخ وأجلسنا صفاً . فنظر الشيخ إلينا من أولنا إلى آخرنا ثم قال : إذا جاء الصغير للمعلم ولوحه ممحو" كَتَبَ له المعلم وإذا جاءه ولوحه مملوء" أين يكتبُ له المعلم ؟ بالذي جاء يرجع .

ثم نظر نظرة أخرى وقال : من شرب من مياه مختلفة داخل مزاجه التغيير ، ومن اقتصر على ماء واحد ، سلم مزاجه من التغيير . أشار بهاتين الإشارتين إلى الجماعة في شغل بواطنهم بما كانوا يدعونه ، وكونهم قصدوا رؤية غيره ، وكان الله منَّ علي بخلُوِّي من ذلك ، فأشار الشيخ بيده إلى الخدام فأقامونا من بين يديه ، وأمروا أصحابي بالانصراف وأفردوني ، وذهبوا بي إلى مكان فيه جماعة من خواص أصحاب الشيخ ، أجلسوني معهم بإشارة الشيخ . فمما رأيت من بعض أصحاب الشيخ ، داراً فيها أربعمائة شاب كلهم من سنك[1] ، وكان سني حينئذ خمسة عشر سنة[2] كلهم مكاشفون . قالوا لي : يا غربي من يوم خرجتم من اشبيلية أطلعنا عليكم ، وعرفنا كل واحد منكم بأي وصف جاء .

---

(١) النبوة : الفراسة القوية ..

(٢) المتكلم هنا الصفي والخطاب موجه إلى ابنه إبراهيم .

(٣) خمس عشرة سنة .

فلما كان ثاني يوم قصد جماعة من أعيان أصحاب الشيخ أن يخصصوا في موضع يجتمعون فيه ، فأخذوني معهم وقالوا : هذا الشاب ما أفرده الشيخ من أصحابه وفرّقه منهم إلا وله فيه سر . فلما اجتمعنا في المكان أكلوا شيئاً ، وقرأ قارىء عشر قرآن فشرعوا في سماع نشيد وذكر (الله ـ الله) وإذا باثنين دخلا فأخذا واحداً من الجماعة وخرجا به للباب ، فتركاه ودخلا ، أخذا آخر كذلك . إلى أن أخذاني وأخرجاني للباب . فإذا بي أجد متولي المدينة قائماً بالباب ، ظهره في حَد الباب وحربته في حَد الباب الآخر . وزبانيته قدامه : كل من يخرجونه الجماعة يتسلمه الزبانية ويحملونه ، إلى السجن ، فبقيت واقفاً قدام المتولي لا هو يبصرني ولا زبانيته ، وإذا بالحائط الذي خلفه[1] انشق ودخل منه رجل عليه ثياب خضر ، فأخذ بيدي وأخرجني من الشق . وعاد الحائط كما كان . وقال انج أنت فما عليك مما على هؤلاء . فمضيت لجامع البلد وجلست ، والبلد قد ارتجّت[2] بأخذ الفقراء ، وكان السبب في ذلك أن الشيخ كان نهى أصحابه أن (لا)[3] يجتمعوا على تلك الصورة قبل أن أجيء أنا إليهم ، فلما سمع الشيخ أمرهم ، بعث وحبسهم وبقيت أنا مستحيياً كيف أعود إليهم وقد نجوت دونهم . وإذا بخادم الشيخ وأحد بني عمه ، جاء إلى الجامع وقال : أجب الشيخ فقد طلبك . فمشيت معهما حتى أدخلاني على الشيخ فوجدت الجماعة الذين كانوا معي حاضرين فجلست بين يديه ، فقال الشيخ للجماعة : ما منكم إلا من يمشي على الماء ، ويطير في الهواء ، لم لا عملتم[4] كما عمل هذا ؟ دخلوا عليه من الباب خرج هو من غيره ، فشكرت الله الذي مدحني[5] الشيخ . فأردت أن أتكلم فقال لي الشيخ : ما حاجة[6] . وعرفت كيف خرجت وأنا أخرجتك .

---

(١) يقصد خلف المتولي .
(٢) يقصد ضَجتْ لسجن هؤلاء الفقراء (الصوفية) .
(٣) المعنى أصح دون لا .
(٤) يقصد لِمَ لَمْ تعملوا كما عمل هذا .
(٥) يقصد إذ مدحني الشيخ .
(٦) يقصد لا حاجة للكلام .

« وكان الذي أخرجه الخضر بإشارة الشيخ إذا لو كان الشيخ بنفسه لعرفه الشيخ »[1] .

حكاية الحرار مع شيخه :

قال ثم أذن في الانصراف من بين يديه . فلما كان ثالث يوم بعث الشيخ خادمه إلي فحضرت إليه فوجدت عنده جماعة وهو يتكلم لهم . فعندما جلست أخذت وشهدت الشيخ قائماً على رأسي ومعه قدوم وهو يهدم في وأنا أشهد أبعاضي كيف تتمزق على الأرض كما يهدم الهادم . وكنا في فلاة وهو يهدم إلى أن وصل إلى كعبي . ولم يبق في شيء إلا شمله الهدم فأقامني ، فأخذ يبنيني من جديد ، من كعبي وطالع[2] إلى عقد دماغي وأفقت فرفعت رأسي فأطرق الشيخ برأسه وأشار بيده للخادم فأقامني وقال لي : قال لك الشيخ قد استغنيت سافر إلى بلدك . فسافرت . وحين خرجت من بين يدي الشيخ انكشف لي العالم العلوي كشفاً لا ينحجب عني منه شيء ، وكنت أمشي على الأرض كالرغوة التي تجري فوق وجه الماء . ولما عدت إلى اشبيلية كان أصحابي ومعارفي مختلفين في . منهم من يقول هو أحمد ومنهم من يقول : ما هو هو . وكنت أجيء للمسجد أخلع نفسي من مداسي ، أشهد لمن أصلي وخلف من أصلي[3] . قال : يا سيدي ! ما معنى خلف من أصلي ؟ قال : يقام لي إمام روحاني علوي تأتم به روحانيتي كما تأتم به جسمانيتي .

فهذه حكايته مع شيخه رضي الله عنه .

مع الخضر عليه السلام :

وقال رضي الله عنه : دخل علي الخضر بمصر في المكان الذي كنت آوي إليه ، فسلم علي وسلمت عليه وقال لي : كن فردانياً . فقلت له : من في الوجود

---

(١) هذا كلام الصفي لابنه إبراهيم .

(٢) لعل الأوضح حتى بلغ عقد دماغي .

(٣) لمن أصلي بالوحدانية وخلف من أصلي : إما الرسول ﷺ أو الإمام الذي يصلي وراءه .

فرداني ؟ فقال : إثنان أحدهما بوادي إبراهيم يعني الحجاز والآخر بجزائر البحر • ففهمنا بهذه التولية من نقيب الأولياء أن الشيخ ثالثهم • فإن قول الخضر للشيخ «كن» ماهو بمعنى الأمر إنما هو بنعت التكوين•أي كن فكان•

وهؤلاء الثلاثة الفردانيون هم الذين يلون القطب الأحدي ، متى مات القطب نقل واحد من هؤلاء الثلاثة إلى مقامه • وقال رضي الله عنه : ولبيان تسميتهم فردانيين وأحديين علم كثير يكون في غير هذا المجموع شرحه وقال[1] رضي الله عنه : دخل علي الخضر مرة وكان وقت السحر ، فسلم علي وقال : قد طلعت الشمس • قلت له : يا سيدي أي شمس ؟ قال : شمس الحقيقة • إشارة إلى الربوبية • فلما أراد الانصراف قلت له : أوصني ، فنظر إلى رجليه وشمر ثوبه•فقلنا[2]: ياسيدي أشار لماذا •؟••فقال : أشار أي اخدم وتواضع• وكانت هذه صفته إلى أن مات يخدم كل شيء يجده • فلما انقطع الشيوخ الذين كان يعرفهم خدم الفقراء[3] •

نسبة من أربعة أنبياء :

وقال رضي الله عنه : لي نسبة من أربعة أنبياء ، من العزيز ، ومن موسى ، ومن إبراهيم ومن محمد صلوات الله عليهم أجمعين • فنسبتي من العزيز متُّ ثم أحييت[4] • ونسبتي من موسى سماع الكلام ، أسمعته وشهدته يعني الكلام[5] • « قال المؤلف رحمه الله : وهذه إشارة انفرد بها الشيخ ، ما شاركه فيها غيره من الأولياء وهي رؤية الكلام » • وأما نسبتي من

---

(١) في الأصل بياض •

(٢) الكلام للصفي •

(٣) المراد : الصوفية •

(٤) أي مات بالجهل والغفلة ثم أحياه الله بنور الذكر والمشاهدة •

(٥) لعل ذلك في الواقعة أي المنام ـ أو من أحلام اليقظة ، ولعله يقصد في المخاطبة في السر •••

إبراهيم فشهود حقائق الكواكب التي تجلت عليه ، وشهد ما شهده بعد أفولها، وتوجه[1] إليه • وأما نسبتي من رسول الله ﷺ فالرؤية لله تعالى أشهدني نفسه وقال : انظر هل تجد محلاً للزوجة والولد ؟ قلت : لا وعزتك يا رب ، فقال : فأي شيء شهدته بعد هذا الشهود إنما هو عبيد ، فسبحان المعطي المانع • قال : وكان سماعي للكلام وأنا ماشي[2] في سوق السيوفيين[3] بالقاهرة بعد أن أقمت في الخلوة سنين ، ولو كان لي حكماً[4] وقدرة بنيت فيه مسجداً فسبحان المجتبي من يشاء •

بداية الحرار :

قال : وكنت في بدايتي رأيت كأنني فوق سطح جبل وإذا أنا بموسى وعيسى عليهما السلام ، فأخذني موسى إليه،وأدخل أُصْبُعَهُ السبابتين في أذنيّ حتى أخْرَقَهما والتقت اصبعاه في رأسي ، فقال : عيسى : لم فعلت هذا به ؟ فقال موسى : لأجل صاحبه يعني النبي محمداً ﷺ وكانت هذه الفعلة تمهيداً لسماع الكلام • وقال رضي الله عنه : دخلت على النبي ﷺ مرة فوجدته يكتب مناشير الأولياء بالولاية • وكتب لأخي محمد منهم منشوراً فقلت : يا رسول الله ! ما تكتب لي كما تكتب لأخي • قال لي : أتريد أن تكون قمهاراً؟ (وهذه لغة أندلسية يعني طُرقياً) وفهم عنه أن له مقام[5] غير هذا، وكان أخو الشيخ من كبار الأولياء نذكر أحواله بعد هذا الذكر • وقال رضي الله عنه : ما من شيء أخبر عنه الكتاب والسنة من الغيب إلا شهدته ، هـذا من حيث

---

(١) أي تفكره في الكون وتوجهه إلى الله تعالى بقلب صاف فأشهده نور التجلي •

(٢) ماشٍ •

(٣) السيوفيين : هو الآن سوق المتعيشين • راجع خطط المقريزي ٢/١٩٦ — قال ذلك لينفي أنها في الحلم •

(٤) حكم •

(٥) مقاماً •

الإجمال ، وما ذكر معه يوماً شيء من أنواع الغيب على التفصيل إلا ونذكر ما شاهد منه . قال لي مرة : شهدت في العالم الروحاني الأول العلوي جميع ما ظهر في هذا الوجود الحسي على صور نورانية روحانية . ظهرت هذه الحسية في هذا الوجود على مثالها . قلت له : يا سيدي أي شيء من ذلك ؟ بيّنه لي . قال : شهدت كل[1] رسول وهو يخاطب قومه على صورة ما ظهروا في الوجود. وكنا معهم من حالة أن الغيب كأنه خزانة خلفَه متى أراد الدخول إليه دخل . وبشريته كالثوب متى أراد خَلْعهُ خَلعَهُ .

لقاء الحرار مع الشيخ القرشي :

وقال رضي الله عنه : لما سافرت من المغرب إلى ديار مصر عبرت على المهدية[2] فوجدت فيها الشيخ أبا يوسف الدهماني من أكامل الرجال وأخص أصحاب الشيخ أبي مدين نفع الله به ، في رابطة على البحر فبت عنده ليلة ثم سافرت . فلما وصلت إلى ديار مصر وجدت فيها الشيخ الكبير القرشي[3] . فترددت لميعاده[4] ولا أكلمه من ظاهر ، وإذا بالشيخ أبي يوسف الدهماني جاء من المغرب ونزل في حمى القرشي ، وفرح به كثيراً .

خدمته لأبي يوسف الدهماني :

فاتفق أني رأيت أبا يوسف وهو يحمل حاجة له وليس له من يخدمه

---

(١) أي شهد مقام الكمال في الرسول ﷺ من طريق الحقيقة المحمدية وهي النقل الأول في اصطلاح السادة الصوفية .

(٢) المَهديّة بالفتح ثم السكون في موضعين : أحدهما بأفريقية والآخر اختطه عبد المؤمن بن علي بقرب سلا ، وبين الأولى والقيروان مرحلتان من جنوبها . مراصد الاطلاع ٣/١٣٣٧ .

(٣) راجع ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/١٣٧ ــ وروض الرياحين لليافعي ٤٢٤ و ٤٣٥ و ٤٥٩ . وجامع كرامات الأولياء ١/١١٤ وطبقات الأولياء للمناوي ق ١٩٥ وشذرات الذهب ٤/٣٤٢ والأعلام للزركلي ٦/٢١٣ .

(٤) حضرت مواعيد دروسه .

فغرت[1] عليه فجئت إلى منزله وقلت له: ياسيدي تأذن لي أن أخدمك مادمتُ بمصر، بحيث تعينني على حالي الذي أنا عليه • قال لي نعم • فخدمته • وكنت لا أتناول له شيئاً، وكانت حالتي التي كنت مراداً بها في ذلك الوقت، أنني كنت في مخزن في فندق عند مسجد العينم[2]، تحتي قش القصب الحلو، ومعي إبريق، أكب زنار[3] حرير بدرهم أودعه عند البياع، وأنا صائم، آخذ منه كل عشية رغيفاً أفطر عليه إلى أن يفرغ ، فأكب غيره • فاتفق أن الشيخ القرشي عمل لأبي يوسف وليمة ، ومَدّ سماطاً قعد عليه من حضر والشيخ القرشي وأبو يوسف في صدر البيت ، وكان القرشي ضريراً ، وكنت أنا جالساً على السماط ولم آكل شيئاً ، فقال القرشي يا قوم ! من هذا الجالس ولا يأكل ؟ فقال له الخدام : أحمد الحرار ، فسكت الشيخ القرشي • فقال أبو يوسف : يا سيدي لِم لا تأمره بالأكل ؟ قال : يا أبا يوسف ما حَكَّمني في نفسه قال له أبو يوسف : يا سيدي فأنا وجدته عندك ، قال له القرشي يا أبا يوسف هو رآك قبلي بالمهدية ، ولم أكن أخبر القرشي بذلك فسكت الاثنان عني ، قال المؤلف رضي الله عنه : وهذه حكاية ينبغي لشيوخ الزمان أن يتأدبوا بها ، إذ كل واحد منهما رأى الآخر أولى لرؤية التقدم ، وتورع الاثنان مع سيادتهما وعلمهما، وعلمه بما في باطن الشيخ الأستاذ وصحة اعتقاده فيهما ، ونسبته منهما ، عن أن يأمراه ويخرجاه عن حالة العدم وتحكيمه لهما في نفسه • رضي الله عنهم أجمعين •

لقاؤه مع الخضر عليه السلام :

وقال رضي الله عنه : دفع إليّ القرشي قفة فيها قمح مقدار ثلاث وبدات[4] وقال لي : احمل هذه لأبي يوسف ، فحملتها ورفعها بعض أصحابه على رأسي •

---

(١) من الغيرة •

(٢) العينم موضع القاموس المحيط •

(٣) لعله يعني أنه يصنع زنار حرير •

(٤) وبدات : لعلها نوع من المكاييل •

فأنا في بعض الطريق انحلَّت فوطتي من وسطي فطلبت من يساعدني برفعها على رأسي فلم أجد • فأدخلت رأسي تحتها ورفعتها فصاحت[1] رقبتي ، وانفرقت فرقتين وأُخرست لا أقدر أتكلم • فتكلفت إلى أن أوصلتها للشيخ أبي يوسف ومضيت للمكان الذي آوي فيه • فلما جلست به وأنا على تلك الحالة وإذا بالخضر عليه السلام دخل علي وفي يده زبدية فيها عسل نحل والحِرف[2] يعني حب الرشاد ، وقال لي : اشرب • من يخدم أولياء الله ما يصيبه سوء ، فشربتها فعادت رقبتي أصح مما كانت ونطقت • وسارعت إلى دار أبي يوسف ، وقفت عليه •

القرشي يعرف ماذا جاء بالحرار :

قال رضي الله عنه : كان الشيخ أبو يوسف يحضر ميعاد الشيخ القرشي فبعثني يوماً وكان في مقصورة جامع مصر ، وقال : يا أحمد ! امض للشيخ القرشي واسأله إن كان اليوم يعمل ميعاداً أم لا ؟ فمضيت[3] من بين يديه وأنا مستهول للإقدام على القرشي، وسؤاله، وما وسعني إلا امتثال أمر أبي يوسف لالتزامي بخدمته ، فلما وصلت للساحة التي فيها باب دار القرشي ، وهي طبقة عالية ، وقفت متردداً مستهولاً ، وإذا بطاقة عالية فُتحت وجارية أخرجت رأسها من الطاقة وقالت : يا أحمد ! قال لك الشيخ : قل لأبي يوسف اننا لا نعمل اليوم ميعاداً • فشكرت الله سبحانه الذي عاملني الشيخ القرشي بهذه الحالة: اطلع علي من غير إقدام عليه ووفرني مما كنت أستهوله ، وقضيت حاجة صاحبي برد الجواب إليه ، فلما وصلت لأبي يوسف في مقصورة الجامع وكان مضطجعاً فلما قربت قعد محرجاً وقال : لم وقفت بساحة الباب حتى قالت الجارية ماقالت؟

---

(١) لعلها فصحت •

(٢) يعني حب الرشاد وفي القاموس الحِرْف معناه الحرمان وسمي به حب الرشاد تفاؤلاً ـ وفي المختار : الحُرف بوزن القفل حب الرشاد •

(٣) لا يزال الشيخ أحمد الحرار يحكي للمؤلف سيرته •

قلت : يا سيدي أنا أهابه . قال : إذا كنت بنفسك هَبْه[1] وإذا كنت لي أقدمْ ، قلنا[2] يا سيدي أيهما أعلى كشفاً في هذه القضية ؟ قال : القرشي لأن أبا يوسف أرسلني وخاطره معي يدرك ما يجري لي والقرشي كالمرآة يدرك من يتوجه إليه . اللهم انفعنا بالرسول[3] والمرسِل[4] والمرسَل[5] إليه .

أبو يوسف يرتفع في الهواء :

وقال رضي الله عنه : كان الشيخ أبو يوسف يوماً عند الشيخ القرشي ، وجماعة من أصحابه ، وكان في الجماعة من يحسن القول فاستأذن الشيخ القرشي على أن يقول شيئاً ، فاستفتح المنشد مطلع موشح :

أما ترى أحمد في مجده الغالي لا يُلحقُ

أطلعه الغرب أرنا مثله يا مشرقُ

وكان الشيخ أبو يوسف بجوار الشيخ القرشي متربعاً فارتفع بجلسته إلى العلو مقدار قامتين ودار وسع المجلس الذي كانوا فيه في الهواء إلى أن عاد الى موضعه . نزل ورأى ذلك اليوم أكبر أصحاب القرشي فقال رضي الله عنه: خلا أبو يوسف ليلة مع القرشي وأنا معهما فقال أبو يوسف للقرشي : من أين تنفق ؟ فقال له : من تحت السجادة إن طلبت ذهباً وجدته أو فضة وجدتها .

قال رضي الله عنه:لما سافر أبو يوسف من مصر،ودعته إلى المركب.فقال لي : يا أحمد وهبتك نصف عملي ، فبعد ذلك خطبني القرشي لخدمته فامتنعت،

(١) هبه : من هاب بمعنى خاف .
(٢) الكلام للمؤلف .
(٣) الرسول : الشيخ الحرار .
(٤) المرسل هو الشيخ أبو يوسف الدهماني .
(٥) المرسل إليه : الشيخ القرشي .

لأجل أخي ، وكان من كبار الأولياء وكنت أخدمه فقال الشيخ القرشي : لا بد أن تخدمني ، فوافقته وامتثلت أمره ، وكان حوله جماعة فطلعت معه للقرافة ، وبت في خدمته تلك الليلة ، فلما كان بعد الصبح قال لي : يا أحمد • ما خلاني أخوك البارحة أنام ، امضِ إليه فقد آثرته بك • فجئت وأخبرته ، فقال : صدق، البارحة كنت أسأل الله أن يقلب قلب القرشي بتركك لي ، وكان أخو الشيخ كبيراً في الولاية وكان على وجهه نور ، لا يخفى على أحد أنه ولي • فسألنا الشيخ عن ذلك قال : بنفخ النبي ﷺ في وجهه ، فأثرت النفخة في هذا النور • وكان أعطي إجابة الدعوة ، وأعطي شيئاً من المحبة ، قال الشيخ : كنت في الليل أبيت وبيني وبين أخي سقف ، وكنت أسمع خفقان قلبه من تحت السقف • فلما أدركه الموت قال لأخيه الشيخ الأستاذ : يا أخي متّ • قال له الشيخ : يا أخي غاب الوجود ؟ قال : لا •قال : فما متّ • فأخذ يناجي ربه : يا رب ! ما تأخذني إليك ؟ إلى متى تبقيني في هذه الدار ؟ قال : وإذا هو تنهد بلذة طيبة وقال : الحمد لله رب العالمين ، يا أخي قد متّ • ثم قال[1] : غاب • قلت له الآن متّ • قال الشيخ من حين حمد الله كان في الآخرة •

أخو الشيخ الحرار :

وقال رضي الله عنه : اختلفت مع أخي في مسألة من أحوال الآخرة ، كنت شهدتها فذهب فيها إلى خلاف ما أخبرته • فقلت له : يا أخي ؟ أعلم أنك تموت قبلي وتشهد هذه المسألة ؛ فإذا شهدتها تعال إليّ[2] • وأخبرني بما رآه منها، على وفق ما أخبرته •

وقال رضي الله عنه : رأيت أخي بعد موته مضطجعاً في قبره ، وقد نبت من حوله : يمينة وفيه وأذنيه ، عروق تكونت منها شجرة انتهت بطولها وتفرع علوها • فقلت : ما هذه ؟ قيل لي : هذه كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » تحققها واستعملها ، فانتهت الى مستقرها •

---

(١) القائل هو الآخ المحتضر •

(٢) في الكلام نقص يرمم المعنى قوله : ولما مات جاءني في الحلم وأخبرني •

وهي اليوم بعدته من أعلاها ، كما رباها ، ومن أسفلها ،.

في طريق الهجرة من اشبيلية :

وقال[1] رضي الله عنه : خرجنا من اشبيلية جماعة ، نريد السياحة ، وكان من جملتنا محي الدين بن العربي ، وحكمنا أمير السنة رجلاً يقال له ابن عمار. فبينما نحن نمشي في برية وإذا بالخضر عليه السلام يجر ذيلـه على الأطراف ولا خطوة جارية ، فلما وافانا عرفناه فكسا الجماعة صفة تعجيز وشاغلهم وهو سائر فحاذاهم وهو يسلم فلم يستطع أحد منهم رد السلام عليه سواي . وكل ذلك لآثار ودعاء عندهم .

قال : وكنا مرة جالسين في مكان ، وقد دخل علينا رجل لا نعرفه ، كسانا منه هيبة . فسلم وركع والتفت للجماعة وقال : تصوّر سؤال : الوجود مملوء وفارغ . فلم يجبه أحد .

قال : آدم لما أكل من الشجرة كان محمد حاضراً أو غائباً فلم يجبه أحد ثم قال : لما أخرجت حواء من ضلع آدم ما سدّ المكان الذي كانت فيه وتكونت عنه ؟ فلم يجبه أحد فسلم ومضى .

قال المؤلف رضي الله عنه : وهذه حكاية تحتاج إلى ايضاح ونرجو من الله سبحانه فتح بيانها . أما عدم أجوبتهم له فليست إلا لتعجيزه لهم الغلبة الهيبة عليهم لأنهم كانوا أرباب إدراكات ومعارف رضي الله عنهم .

لقاء الحرار مع الشيخ أبي العباس المغربي :

وقال رضي الله عنه: وردت من السياحة على الشيخ أبي العباس المغربي وكان رجلاً كبيراً. فلما جلست إليه سأله سائل فقال له: ياسيدي أيهما أفضل العقل أم الروح؟ فعاينت الشيخ قد أسْري وجهه وأسري بي معه. فلما دخلنا سماء الدنيا

---

(١) القائل هو الشيخ أحمد الحرار .

اشتغلت برؤية أملاكها وأنوارها. وغاب الشيخ عني فطلبت مستقراً أستقر فيه فلم أجد فنزلت. وقفت فنظرت الشيخ أجده مستغرقاً في غيبته. فبعد لحظة فإذا هو قد حضر . فقال السائل : لما أُسري بالنبي ﷺ صحبة جبريل ، وانتهى بـه جبريل إلى حده ، وقف وقال : يا محمد ما مِنا إلا له مقام معلوم ، منذ خُلقتُ ما تعديتُه . فتقدم النبي ﷺ إلى مقامه الذي اتصل به ، وكان جبريل روحاً وكان محمد حينذاك عقلاً فانظر رحمك الله ــ اختصاص الحق سبحانه لهذه الطائفة .

لم يُجبه بنقل النَقَلة ولا بفُتيا أرباب العقول بل أخذ العلم من معدنه والإرث للنبوة الإرث الحقيقي نفعنا الله بهم .

وقال رضي الله عنه : كنت جالساً مع هذا الشيخ أبي العباس المغربي وكان يستنطقني ليُسمع أصحابه أحوال الفقراء وما يُخبرون به من مواهب الله وإذا بقوّال استأذن الشيخ ليقول شيئاً ، فأذن له ، وإذا أنا أبصر حيّةً لها عينان جوهريتان أقبلت تطلب حلقة الفقراء الحاضرين بين يدي الشيخ حين السماع ، فقلت له : يا سيدي ! أبصر كذا وكذا . فحينما أخبرت الشيخ رجعتْ . قلت: يا سيدي رجعتْ . قال : يا بني هذه نفر واحد من الجماعة ، طلبت نفسَه بليَه[1] ، وتتجوهر عليه بالعلم ليظهر الوجد على أنه حال ، وليس هو حالاً ، فلما رأيتَها أنت وأخبرتَني استشعرتْ ورجعتْ .

وقال رضي الله عنه : خرجت من اشبيلية وحدي أسافر لبلد أخرى . فعندما خرجت من البلد وإذا بشخص يشبه أهــل اليمن ، سلّم علي وصار يحدثني ، إن مشيتُ مشى وإن قعدت قعد . يقرأ سورة « إنا أرسلنا نوحاً .. » « نوح ــ ١/٧١ » بقي معي أياماً . قلت له : ما تكون رحمك الله ؟ قال : أنا مؤمن من مؤمني الجان أرسلت إليك أوانسك ، فلما وصلت إلى البلد الذي أردت راح عني .

(١) لعل في الكلام نقصاً يرممه قوله وهي تتجوهر .

يكشف الله للحرار عن أحوال أهل القبور :

وقال رضي الله[1] عنه : كنت حالة تجريدي مصر،أتردد إلى مصر مسجداً كان قبالة مصنع الفخارين بطريق القرافة ، أبيت فيه ، فكنت أخرج في الليل أمشي في الجبانة فيكشف الله أحوال أهل القبور المتنعمين وغيرهم من المعذّبين باختلاف أحوالهم • فما رأيت أحسن من الجهة التي قِبَل الفتح• قال الأستاذ صفي الدين المؤلف رضي الله عنه : فلما أدركته الوفاة ، أشار إلي بأن أحفر له قبراً فاخترت له مكاناً قِبَلَ الفتح فدفنته • وكنت أخبرته به قبل موته فقال : أحسنت •

لقاء الحرار مع ثلاثة من الأبدال :

وقال رضي الله[2] عنه : كنت يوماً أصلي في المسجد الذي كنت آوي فيه وإذا أنا أبصر من وراء الحايط ثلاثة من الأبدال عابرين على المسجد فلما وصلوا قبالة المسجد قال بعضهم لبعض : هذا المسجد فيه رجل • يدخل منا واحد يبصره ، فجاء واحد منهم للحائط الذي فيه الباب فدخل من الحايط حتى جاء• فوجدني قائماً في الصلاة ، فقبلني وخرج من الحايط • أخبر أصحابه وأنا أبصرهم إلى أن انصرفوا ، وكان لباسهم جلداً • وكان مع الشيخ صاحب له متعبد فلما فرغ الشيخ من الصلاة قال : يا سيدي شممت الساعة رايحة طيبة ، دخلت علينا ، فأخبره الشيخ أنها رايحةُ البدل الذي دخل •

الطيور الملونة :

وقال[3] : مرضت مرة في بلدي اشبيلية ، فكنت مضطجعاً على ظهري ، وإذا أنا أشهد طيوراً كباراً ملونة بالأخضر والأبيض والأحمر يرفعوا[4] أجنحتهم دفعة واحدة ويضعونها وضعاً واحداً ، وأشخاصاً على أيديهم أطباق مغطية[5] فيها تحف • فوقع لي أنها تحفة الموت فاستقبلتها وتشاهدتُ ، فقال لي واحد

---

(١) الشيخ أحمد الحرار •
(٢) الشيخ أحمد الحرار •
(٣) الشيخ أحمد الحرار •
(٤) لعلها يرفعون •
(٥) لعل الأوجه مغطاة •

منهم : أنت ما جاء وقتك ، هذه تحفة مؤمن غيرك قد جاء وقته ، ولم أزل أنظر إليهم إلى أن غابوا .

وقال رضي الله عنه : كنت مرة واقفاً عند المسجد الذي أصلي فيه بمصر، وقد عبر المتولي في ذلك الوقت ، في زمن العادل الكبير ، كان يقال له فخرالدين اسماعيل[1] فسمعت مخاطبة هذا في مقابلتك ، في الظاهر وأنت قبالته في الباطن وكان رضي الله عنه إذا صلى في محراب هذا المسجد ينحرف يمنياً فسيل[2] عن ذلك فقال : أنا أصلي إلى الكعبة عياناً وأميل معها .

وقال رضي الله عنه : حظر للملك الكامل[3] أن يخرج المغاربة من ديار مصر كونه وقع له منهم ، فنادى فيهم بالخروج نداء مقلقاً ، فتغير باطني عليه بسبب ذلك ، ثم رجع عنه . فلما رجعت بعد هذا وأنا في الطواف تذكرته ، فهممت أن أدعو عليه ، فقيل لي : من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها فدعوت له .

يدعو للجندي :

وقال : وكنت مرة على ساحل نيل مصر ، وإذا بجندي طلب قياسة يعدّي فيها ، فخاف صاحب القياسة من سخرته ، فأخرجها من البر ليهرب بها فلحقه الجندي وضربه في رأسه بالمقرعة فهممت بالدعاء عليه ، فقيل لي ما حاجة أن تدعو عليه بهذه الصفة ؟ أحامله بها غداً على الصراط ؟.

يكلمه الحجر :

وقال رضي الله عنه: كنت في بعض السياحات أحتاج إلى الاستجمار،فأخذت

---

(١) الفخر إسماعيل بن علي بن حسين المأموني الحنبلي الرفاء ولد سنة ٥٤٩ هـ وتوفي سنة ٦١٠ هـ . راجع العبر للذهبي ٥/٣٤ .
(٢) فسئل .
(٣) هو الملك الكامل محمد بن محمد بن أيوب المتوفى سنة ٦٣٥ هـ ١٢٣٨ م . راجع ترجمته في الأعلام ٧/٢٥٥ والوافي للصفدي ١/١٩٣ والعبر للذهبي ٥/١٤٤ . ولد سنة ٥٧٦ هـ تملك الديار المصرية ثم دمشق .

مرة حجراً لأستجمر به،فقال لي : سألتك بالله لا تنجسني ، فتركته وأخذت غيره فقال لي ذلك ، فتذكرت ما رتبه الشارع ، فأخذت الحجر وقلت : أمرني الله أن أتطهر بك ، وهو خير لك •

مــع أخيــه الجائــع :

وقال رضي الله عنه : كنت تركت أخي بمكة عام حوطة وجيت إلى مصر فبعد ذلك جاءني ودخل علي البيت الذي كنت فيه، وسلم علي، وفرحت بقدومه فقال لي : يا أخي أنا جائع ، قلت له : يا أخي ! ما أملك شيئاً ولا أتكلف شيئاً ولا أسأل أحداً شيئاً ، فآخر كلامي معه بذلك ، وإذا بعصفور كبير دخل من شباك البيت ، وألقى في حجري قيراطاً كبيراً ، فأخذته واشتريت به ما آكل ، وقال: لم أزل أتسبب[1] في الحرير إلى أن نهيت عن السبب ، فبقيت ولم أتركه تواضعاً للعلم وستراً للحال ، إلى أن قيل لي تتركه ــ أي العمل ــ وإلا أعميناك فتركته •

مات الحرار وليس معه درهم واحد :

قال المؤلف رضي الله عنه : وعاش بعد ذلك مــدة سنين متسع الدايرة بالعيال والأتباع ، واسع النفقة ، وكان كريماً ينفق من جيبه مالا يصنعه فيه ، ومات ولم أجد له درهماً واحداً •

صلاة الشيخ أبي الحسن ابن الدقاق وراء الحرار :

وكان بديار مصر رجل كبير الشأن يقال له الشيخ أبو الحسن بن الدقاق من مراكش صحبه بالشام رجل أعجمي[2] يقال له محمد الأزهري ، ما سمع بأعظم من كراماته ومحكماته وعلومه ــ وذكره في غير هذا الفصل ــ وكان هذا الشيخ أبو الحسن يعتقد بالشيخ الحرار ويتردد إليه ، فكان مما حكي للشيخ وأنا حاضر أن الشيخ محمد العجمي[3] قال : يا علي متى كنت بمصر

---

(١) أسعى في أسباب المعاش •

(٢) راجع روض الرياحين ٤٢٦ •

(٣) محمد الأزهري ــ العجمي أبو عبد الله محمد الأزهري العجمي : روض الرياحين ص ٤٢٦ وجامع كرامات الأولياء للنبهاني ١/١٢٥ وحكى عنه الإمام اليافعي كرامات كثيرة •

احرص على أن تصلي وراء الشيخ أبي العباس ، فإنها بسبعين صلاة ، وإذا أردتأن تعرف مقدار ما أوصيك صلِّ غداً خلفه ، فقمت في السحر وجيتُ لمسجد الشيخ أبي العباس ، فلما طلع الفجر ، وأقيمت عليه الصلاة ، دخل المحراب وكبر فكبرت ، وراح الناس ، فلما أُخذتُ وغاب المسجد والناس عن نظري تصورت روحانية نورانية قامت مقام الشيخ ، وانتشرت لها أشعة أنوار انتهت إلى أطراف إقليم مصر ، وضمن تلك الصورة النورانية صورة صغيرة مصورة في حَجَرها ، فبينما أنا أشاهد هذا الأمر ، وإذا بالمؤذن يحركني ويوقظني ويقول : أنت صُرعت ، صلى الشيخ والناس ومضَوا وأنت كأنك مصروع ، اخرج لنغلق المسجد ، فخرجت وجيت إلى الجامع فوجدت الشيخ محمد العجمي ، فقال لي : ما رأيت ؟ فأخبرته ، فقال : هذه روحانية الباطنة العلوية ومنتهى أشعتها نور حكمها ، فسألته عن الصورة الصغيرة المصورة في باطن تلك الصورة فقال : هذه صورة شاب من أعيان مصر يصحبه في آخر زمانه يرث مقامه يقال له : الصفي بن أبي المنصور (أي المؤلف) .

يتنبأ بولايــة الصفي :

قال الشيخ أبو الحسن بن الدقاق: ثم سافرنا إلى الشام مع الشيخ محمد العجمي فكنا بدمشق في الجامع في الحيط الشمالي، وإذا بالشيخ العجمي قال لي : يا علي انظر هذا الشاب فنظرت وإذا جميل عليه فروة حرير ، ملونة بالأحمر والأصفر والأسود متطيلس بعَرْضَيٍّ[1] شِرب له حاشية يمشي في الجامع وبجواري فقير يسمى هاشماً ، فقال : هذا الشاب الذي رأيته أنت مصوراً بصورة أبي العباس ، الذي تصحبه في آخر زمانه .

لقاء المؤلف مع الشيخ علي الكردي :

قال المؤلف : وكنت أنا كذلك على الهيئة الموصوفة قد جيت من حران بعد وزارة والدي بها للملك الأشرف وكان سني في ذلك الوقت خمس عشرة سنة ، وساعة دخلت دمشق كان بها الشيخ علي

(١) لعله نوع من اللباس .

الكردي[1] المولــه ظاهراً ، فحــين دخلت الجامع وكنت في حشكلة من الأهل والغلمان جالسين في الحيط الشمالي عند مقصورة الغزالي ، وإذا بشخص عظيم الصورة كبير الرأس عليه لباد مقطع جاء من باب جيرون[2] يشق الجامع إلى أن جاء إليّ ، ومــدّ يده إليّ مملوءة تفاحاً وقال لي : خذ ، ففزعت منــه واستندت الى من كان بجواري ممن معي فتأخر عني ثم رماهم تفاحة تفاحة إلى أن فرغ ما كان في يده ومضى لباب جيرون ، وإذا بالشيخ أبي القاسم[3] الصقلي وكان من أعيان المشايخ مقيم بدمشق ، والفقيه نجم الدين أبو اللهيب كان مدرساً بدمشق جاءا إلينا فأخبرهما الجماعة بما جرى من ذلك الشيخ ، فتعجبا من ذلك عجباً كثيراً عظيماً وهنأاني هنَاً كبيراً وقال لي : هذا قطب الشام جاءك بالضيافة ، وعزيز أن يعمل هذا مع أحد ، فقمت ولحقته عند باب جيرون وسلمت عليه وقبلت يده فضحك •

الشيخ الحرار تبنى الصفي :

وكان هــذا الشيخ علــي الكردي عظيــم الشأن تذكر أخباره بعــد هــذا الفصل المختص بالشيــخ الأستاذ وأما حكايــة الشيخ العجمي فــإن الشيــخ شافهني بمعناها مني إليــه ، وقال لي : أنت وارثي ، وكــل ما نلته من الحق لا بــد لك أن تبلغه ، وكان ولــده طفلاً صغيراً يمشي بــين يديه قال لي : كما أن هذا ولدي من ظاهر أنت ولدي في الباطن • وقال أشهدت

(١) ألف له الشيخ محي الدين بن عربي رسالة شرح الوصايا اليوسفية • انظــر مخطوط الظاهرية رقم ١٥٣٥ عام • والشيخ علي الكردي إمام وقته وزمانه فريد عصره • كان ظاهر الوله يتحكم في أهــل الشام وله عندهم صولــة • وكراماته كثيرة شهيرة • لما قدم الشهاب السهروردي دمشق برسالة الخليفة إلى الملك العادل أراد زيارته فقالوا : لا تفعل • أنت إمام الوجود وشيخ الدنيا والرجل لا يصوم ولا يصلي ويمشي مكشوف العورة غالباً • فقال : لا بد • فقالوا : هــو في الجبانة • فقابله بحشــد كبير فاستقبلهم بعورتــه • فقــال السهروردي : لا تردنا نحن أضيافك فجاءهم طعام لا يدري من أين • مات ودفن بالباب الصغير ، المناوي ص ١٩٣ •

(٢) من أبوب دمشق • للدكتور صلاح المنجد رسالة خطية تحدث عنه •

(٣) ذكره ابن عربي في الفتوحات ٥٧٧/٤ بولاق •

عالم النسيم وكان ظهوره لي صوراً لطيفة نورانية ، ظهرت لي دفعة واحدة كمثل ظهور الشرار إذا خرج من الكير ينفخ النافخ ، وكانت كل صورة نوراً تليها في ظهورها كمثل الشرارة النارية في ظهورها ، فجئت إلى واحد منها وحنت إليّ واحدة منها وهو الصفي[1] . يقول لمن حدثه وأنا أسمعه منه .

زيارة قبر الحرار :

ولما جاء الشيخ أبو الحجاج المغاور[2] والشيخ أبو بكر بن شافع من الصعيد ، وقصدوا زيارة قبر الشيخ ، وكان هذا المغاور رجلاً عظيماً نذكر أخباره بعد هذا الفصل ، وكذلك الشيخ أبو بكر ، وكان معهم حين الزيارة جماعة أكابر منهم علم الدين المنفلوطي والشيخ أبو الحسن بن الدقاق وأعيان صلحاء مصر فلما قدموا على أول الفضاء المتسع الذي قبر الشيخ في آخره ، ولم يكن حينذاك لقبره علامة ولا بناء فعندما رأوه من بعد كبير فقدم المغاور على الجماعة قاصداً قبر الشيخ من غير دالٍ يدله على جهته ، ولا من يعين لهم ناحيته ومَشَوا إلى أن وقفوا على القبر ، وجلسوا وقتاً ثم قاموا وكل منهم مجموع في نفسه ولا يتكلم أحد منهم مع أحد إلى مصر . فأدخلتهم الدار التي كنت فيها وعملت لهم ضيافة ، ثم سألت الشيخ المغاوري عن زيارته ، فأشار بأنهم رأوه من بعد ، ورأى شيخهم الشيخ أبو الحسن عنده ، ثم قال له : ياصفي كان أمر الشيخ أبي العباس عظيماً ، ولا بد له أن يرد عليك ، ثم سألت الشيخ أبا بكر بن شافع عن زيارته فقال : عندما أقبلنا من أول البرية رأينا الشيخ أبا العباس وشيخنا أبا الحسن عنده فلما انتهت الزيارة قال لي الشيخ : أبو العباس : هذا الصفي روحيّ لذلك الشيخ أبي عبد الله الشاطبي[3] .

---

(١) هذا كلام الشيخ أبي العباس الحرار عن تلميذه المؤلف .

(٢) راجع روض الرياحين ص ٤٢٧ . وهو أبو الحجاج المغادري .

(٣) أبو عبد الله الشاطبي محمد انظر طبقات المناوي ص ٢٥٤ هو زاهد معروف عمله على جهات البر موقوف ، وعابد مشهور أقام بالاسكندرية مرابطاً على ثغرها .

صحبة المؤلف للشيخ الحرار :

قال لما زار الشيخ قال : رأيت شيخنا الشيخ أبا الحسن عنده ، وعند انتهاء الزيارة قال لي : هذا الصفي عيني ، وكانت للشيخ الأستاذ ابنة تاقت إليها نفوس أصحابه ومحبيه ، فأطلع الشيخ على نفوسهم فقال لهم : هذه البنت التي لي لا تخطو لأحد ، فإنها ساعة ولدت أطلعني الحق سبحانه على زوجها من هو وأنا أنتظره ، وكنت حينذاك وراء الفرات بحران[1] مع والدي في وزارته للملك الأشرف ، فلما جينا إلى مصر بعد سُنَيّات بعث الملك العادل الكبير والدي رسولاً إلى مكة لأبي عزيز ، ليعيّن الملكَ المسعودَ بن الملك الكامل على اليمن ، فجيت أنا حينذاك إلى الشيخ وصحبته ، وكنت وأنا صغير إذا ذكر الشُيّاخ[2] والأولياء تلوح صورته[3] فصحبته وغيرت هيأتي ، وكانت هيئة جميلة : الثياب المذهبة ، والبغلة الحسنة وغير ذلك . وهجرت الأهل ولزمت الشيخ إلى أن جاء والدي من مكة في حشكلة عظيمة وخرج له من مصر سبعون متطيلساً[4] للقائه لجمع الاهتمام والخيَم[5] ، فقال لي الشيخ : تخرج للقاء والدك ، قلت : يا سيدي ! ما بقي لي والد غيرك ، وأنا ما آركب له شيئاً من دوابهم ولا آكل معهم قال : تخرج على كل حال .

فخرجت على دويبة تحتي جريح أعطانيه الشيخ ، وخبز وجبن وخيار وسطل وأهلي يبكون على حالي ، وكان لوالدي بغال على الربيع مهيأة ، أخرجوها له مجموعة ، فلما وصلنا لبركة الحاج[6] قعدت وحدي تحت السماء،

---

(١) المؤلف من حران وراء الفرات ثم جاء إلى مصر .

(٢) المشايخ .

(٣) يقصد الشيخ أحمد الحرار .

(٤) يلبسون الطيلسان .

(٥) في الأصل دون نقاط .

(٦) اسم مكان في مصر لعلها بركة الحبش مشرفة على النيل خلف القرافة وهي متنزه راجع معجم البلدان ١/١٨٠ ومراصد الاطلاع ١/١٨٨ .

وكان الصيف الشديد ، إلى أن جاء فلقيته وحدي[1] فلم يعرفني هو ولا من حوله وكان حوله عسكرجاء ، ومماليك وخدام ، إلى أن رآني ، قال : حسين ! قلت : نعم حسين ، وقف واصفر وجهه وبهت بهتة ، الله المسؤول أن يثبته عليها ، ثم مشى وبقوا متعجبين ، وإذا بأهلي واخواتي وكل من خرج من الطوايف وصنُوا واجتمعوا ، وأنا في ناحية واحدة ، فلما نزل البركة قدمت الفاديم وجمع على سماطه كل من جاء معه ، وكل من خرج له إلا أنا لم أحضره، وبقيت في جهة أبكي بكاء أسيرٍ ، قد أخذ من أهله ، وحيل بينه وبين من يحبه، وما بكيت عمري ألذ من البكاء ، آخر الحال هددوني بالقتل والحبس إن لم أعد لما كنت عليه معه ، فأخبرت الشيخ بذلك فطردني وقال : رح لأبيك ولا ترجع تأتي إلي فمكثت زماناً كنت آنشد ما قاله مجنون ليلى :

جُنِنّا بليلى ثم جُنَّت° بغيرنا ... واخرى بنا مجنونة لا نريدها

وأطلعني الله على سر مقصود الشيخ : أنه أحالني على صدقي ليكون بريئاً من الحظر والقصد فيّ ، فانشرحت لذلك من جهة الشيخ ومضيت إلى دار والدي ، وحبست نفسي في خزانة في علو الدار ، وآليت على نفسي ألا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا أخرج ، أو أرد للشيخ على ما أحب ، فسأل والدي عني فأخبروه بطرد الشيخ لي وبما صممت عليه ، فقال : بعدي تجوع وتحتاج تأكل ، وتعطش وتحتاج ماء تشرب ، فأقمت إلى ثالث يوم ، فاستيقظ وقال : قولوا له يروح للشيخ ويفعل بنفسه ما يختار ، فقلت : لا أروح أو يروح والدي للشيخ ويسأل قبولي ، وقصدت عزة الشيخ بذلك ، فقال : نعم ، فاستدعاني وخرج ماشياً من بيته إلى مسجد الشيخ وأنا معه ، فقبل يد الشيخ وقال : يا سيدي ! هذا ولدك تصرف فيه ، وأود لو كنت مكانه ، فقال له الشيخ : أرجو أن ينفعك الله به ، فسلمني الشيخ ومضى ــ آجره الله وجزاه عني خيراً ــ

(١) في روض الرياحين : وأنا في هيئة رثة .

فأقمت عُقيبَ هذه الاجتماعة شهراً ما رأيته[1] ، وأنا أحمل على كتفي كل يوم جَرَّتَيْ ماء من بولاق إلى زاوية الشيخ حافياً ، والناس يخبرونه[2] ، يقول : تركته لله تعالى ، أسأل الله تعالى ألا يضيع له ذلك وأن يجزيه ما هو أهلـه •

زواج الصفي من ابنة الحرار :

فعند وفاة الوالد رأيت كأن الشيخ قال لي : يا صفي قد زوجتك ابنتي، فلما استيقظت بقيت متحيراً لا يمكنني من الحياء أن أخبره ، وإن لم أخبره يكون خيانة كوني أخفي شيئاً في باطني لا أطلعه عليه ، فالتفت إليّ وقال : ما رأيت في النوم ؟ فلحقتني منه هيبة ، قلت : ما رأيت شيئاً فسكت لحظة ثم قال : قل فلا بد لك من القول فقلت له : رأيت كذا وكذا ، قال : يا بني ! هذا كان من زمن ، قبل أن تصحبني بمدة ، فزوجني إياها ، وكانت من أولياء الله تعالى على وجهها نور لا يخفى على أحد يراها أنها وَلِيّة ، وأنها من أهل الجنة، ورزقت أولاداً فقهاء فقراء عدولاً ، وعشنا في بركتها بعد أبيها زماناً ، كثيرة المكاشفات،أخبرت بوقت موتها قبل وقته بسنة،ثم في أول الشهر الذي[3]ماتت فيه ، وحين موتها أخبرت بعجائب ووقائع تقع بعد موتها ووقعت ، وكانت تقول في حال نزعها لنفسها:«ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية»، تقول ذلك إلى أن خرجت روحها ، نفعنا الله ببركتهم أجمعين •

وفـاة الشيخ الحرار :

ولما قربت وفاة الشيخ استدعاني وقال : يا بني قد استَدعَيتُ نفسي من الله عز وجل وأجبتُ الداعي ، واتصلت إلى حضرة كـذا وكـذا ، ثم غاب ،

---

(١)و(٢) أي والده •

(٣) في الأصل التي •

فعلمت أن هذه هي موقتة شرعت في أسباب موته ، وعاش بعد هذا القول يومين ومات وحضر عنده قبل موته أصحابه،وكان منهم الشيخ أبو الحسن بن الدقاق، والشيخ موسى الفاني والعثماني ، والشيخ عبد الرحيم الدهروني فقال له موسى الفاني : أسيدي ! إذا متّ على من نجتمع بعدك فقال : على الصفي ، فسكتُ ساعة ثم قلتُ : يا سيدي إذا متّ على من نجتمع بعدك ؟ فقال : على الصفي ، ثم قال له الثالثة : قال على الصفي على الصفي على الصفي ، ففرح الشيخ أبو الحسن بذلك وكتب به شهادته • نفعنا الله بذلك • وأوصى أن أغسله وأصلي عليه ، فغسلته ، وصليت عليه ، ولحدته •

أخبار الحرار مع عماد الدين السكري :

وكان بمصر القاضي عماد الدين بن السكري[1] حاكم الديار المصرية ومدرس الشافعي ومشهد الحسين ، (صلوات الله عليه وعلى آبائه)ومدرس منازل العز ، وكان يحب الشيخ ويعتقده ويبره ، فأتفق أن مناصب أخذت منه ولم يبق معه إلا منازل العز ، ثم أخذت منه ووقع بها لغيره ، فجاء إلى الشيخ وشكا إليه فقال : ما وجدت أسفاً على شيءٍ من المناصب إلا هذه المدرسة ، لأنها سكن العائلة وهم كثير ، فقال له الشيخ : يكون الخير ، فلما كان تلك الليلة أصبح الشيخ وقال لنا : اليوم العصر ترد لعماد الدين مدرسته ، قلنا : يا سيدي ! كيف الخبر قال : قمت البارحة لوردي أصلي حباً به في زاوية من باطني فقيل لي : غداً العصر ترد له مدرسته ، فلما كان العصر جاءه توقيع جديد بها من غير سعي أحد غير توجه الشيخ ونفاذ همته ، وما يسر به في أمره •

---

(١) عماد الدين بن السكري حاكم الديار المصرية • راجع طبقات الشافعية للأسنوي ٢/٦٧ • وهو عبد الرحمن بن عبد العلي المعروف بابن السكري ولد بمصر سنة ٥٥٣ هـ مات سنة ٦٢٤ هـ • ذكره الذهبي في العبر • تفقه على الشهاب الطوسي • له مصنف في الدرر ، وحواشي الوسيط • نقل عنه ابن الرفعة في شرحه له ولي قضاء القضاة •

وقال له : يا سيدي جارية حامل ، فقال له: تضع لك غلاماً اسمه عبدالعزيز فوضعت غلاماً هو فخر الدين عبد العزيز ، الذي دام بعده في المدرسة وأداء العدل ، وأعيدت له خطابة القاهرة .

زواج الشيخ الحرار :

وتزوج على رأس أربعين سنة ، بعد أن قيل له : تزوج ففي ظهرك ولد نريد إخراجه فتزوج وهي سنة القوم لا يتزوجون إلا بعد الأربعين لأنها مدة الفتح ، فمن لم يفتح له في الأربعين لم يـُفتح عليه بعدها . إلا ما كان من تقدم حكم الفتح في الأربعين،فيرد بكلمة بعدها،وهي سنة أكبر الأنبياء في البعث بعد بعث النبي ﷺ،على رأس الأربعين وكذلك موسى بـُعث بعد[1] الأشد الأكبر هو أربعون سنة ، قال الله تعالى : « ولما بلغ أشده واستوى » قيل : أربعون سنة ، وقال تعالى أيضاً في سورة الأحقاف الآية١٥ « ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك » .

أولاد الشيخ الحرار :

ورزق من زوجته أولاداً منهم : بـُنيـّتـه المباركة التي زوجني إياها،وبعدها ولداً صالحاً سماه باسمه أحمد وقال : لو رزقت مائة ولد لمْ أخرج في تسميتهم عن أحمد ومحمد ، ونشأ ولده نشئاً صالحاً ، وجـاء يشبهه صورة ومعنى ، ومات[2] وهو صغير ربيته وأقمته مقام والده في مسجده وظهرت بركة والده عليه ، وكان يصلي في مسجد يعرف بابن البلان ، وكان ابن الواقف[3] يقال له

---

(١) يقصد العمر الأشد الأقوى .

(٢) أي أبوه .

(٣) الذي وقف المسجد .

النجيب يخدم عند بعض الأمراء فاتفق أن ذلك الأمير قبض عليه قبضاً عنيفاً فبعث يستجير بالشيخ فقال الشيخ : ما أعرف أميراً ولا وزيراً ، ما أقصد إلا الله، فبعث إلى الفقيه عقيل ، وأخذ مفتاح مسجده بالقرافة ، وطلع يصلي فيه متوجهاً في حق صاحبه المستجير به ، فما جاء آخر النهار حتى أُفرج عنه ، وجاء إلى الشيخ وأخبره بخلاصه من غير سعي في ظاهر •

حاكم مصر يسأله الدعاء للمسلمين :

وجاءه حاكم مصر والفقيه ابن السكري(١) عند موته فسألاه الدعاء للمسلمين بالنصرة على العدو ، وكان العدو في دمياط النوبة(٢) الأولى ، في زمن الملك العادل(٣) ، فقال جواب سؤالهم : اللهم اجعلني فداء المسلمين ، فأرخ ذلك اليوم وكان يوم كثرتهم •

---

(١) مر ذكره ص ٤٢ •

(٢) يقصد المرة الأولى •

(٣) الملك العادل هو السلطان سيف الدين أبو بكر محمدبن الأمير نجم الدين التكريتي ثم الدمشقي توفي سنة ٥٩٧ هـ النجوم الزاهرة ٦/١٦٠ قال الحافظ الذهبي في تاريخه : ولد ببعلبك سنة ٥٣٩ هـ عاش ستاً وسبعين سنة ، وحضر مع أخيه صلاح الدين فتوحاته • وذكر ذلك ابن خلكان في ترجمة الملك العادل • ثم أخذ صلاح الدين حلب من ولده الملك الظاهر، وأعطاها للملك العادل الذي نزل عنها فيما بعد للملك الظاهر • وفي ابن الأثير ما نصه : خطب للملك العادل بالقاهرة ومصر يوم الجمعة ٢١ شوال سنة ٥٩٦هـ وخطب له بحلب الجمعة ١١ جمادى الآخرة سنة ٥٩٨ هـ • وكان ذا رأي ومعرفة وحزم ، صالحاً محافظاً على الصلوات متتبعاً للسنة ، مائلاً للعلماء وفي ابن خلكان : هو محمد بن أيوب بن شادي ، أبو بكر سيف الإسلام الملقب بالملك العادل ، أخو السلطان صلاح الدين • من كبار سلاطين الدولة الأيوبية • كان نائب السلطنة بمصر عن أخيه صلاح الدين أثناء غيبته بالشام ثم ولاه أخوه حلب • واستقر بملك مصر سنة ٥٩٦ هـ وضم إليها الديار الشامية • كان ملكاً عظيماً ولد بدمشق سنة ٥٤٠ هـ ١١٤٥ م توفي بعالقين من قرى دمشق وهو يجهز العساكر لقتال الافرنج سنة ٦١٥ هـ ١٢١٨م• انظر ابن خلكان ٢/٤٨ • وابن طولون المعزة فيما قيل بالمزة ص ٦ وذيل الروضتين ص ١١١ ومرآة الزمان ٨/٥٩٤ ، والعبر في خبر من غبر للذهبي ٥ ص ٥٨ • والأعلام للزركلي ٦/٢٧٠ •

زيارة الحرار لأبي العباس الطنجي :

وزار مرة الشيخ أبا العباس الطنجي في جيزة مصر ـ وكان مريضاً ـ وهو عظيم الشأن ، نذكره في غير هذا الفصل ، فسأله عن حاله فقال له : حالي حال من بال على نفسه من ضعفه ، فلما رجع الشيخ من زيارته ـ وكنت معه وحدي ـ قلت له : يا سيدي ! ماهذا الجواب النازل من هذا الرجل الكبير ؟ وأنت تعظمه ؟ قال : يا بني ! كان من أيام نطق بكلمة غلب عليها الحال بنطقها ، قال عن نفسه : هكذا كنت في الأزل[1] . فسمعتُها منه ، وسكتُ عنه ، لعلمي بغلبة الحال المنطلق على لسانه ، فأراد اليوم بهذا الجواب النازل محو أمر الكلمة بما ثَبَّتَ به عبوديته ، ثم قال لي الشيخ : كل من نطق في حال الصحو بلسان السكر لا يُعبأ بقوله وفي معنى هذه الحكاية الوصية من الشيخ قال بعضهم :

إذا كنا بـه تهنا سمواً	على أهل العالـم والوجود
ولكنا إذا عـدنا إلينا	لعطّلَ ذلتنا ذل اليهود

وكان للشيخ صاحب يقال له مفرج القصابي[2] وكان يحب الشيخ كثيراً ،

---

(١) كأنه في شطحة صوفية تعدى فيها مقام العبودية . وكأنما استشعر حلولاً في ذاته بغلبة الحال الذي أنطق لسانه . مما يذكر بالحلاج حينما قال : « ما في جبتي إلا الله » يريد بذلك ما هدف إليه الحديث « فإذا أحببته ـ أي العبد ـ كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها » وذلك لتقرب العبد بالنوافل .

(٢) في موضع آخر بفرج القصباني . انظر جامع كرامات الأولياء ٢/٢٦٧ . هو الشيخ مفرج بن الموفق . ولي عظيم الشأن حبشي . اصطفاه الله بلا أسباب معلومة مات سنة ٦٩٨ هـ . حكى عنه اليافعي ما رواه الشيخ المؤلف صفي الدين .

فقال للشيخ عن نفسه : البارحة أثبتُّ مفرجاً في ديوان أهل اليمن ولقيني يوماً هذا الشيخ مفرج وهو نازل من بيت الشيخ ، فَبَّل قدميَّ في الطريق ، فرآه بعض أصحاب الشيخ عند ذلك ، فاجتمعوا وطلعوا للشيخ فشكوا ما رأوا منه، فقال لهم الشيخ : رجل صالح معذور فيما فعل ، لأنه كان عندي فحكيت له : أنني رأيت البارحة كأنني على سطح جبل ومعي مفرج والصفي فظهر من الحق بارقة نور فرآه مفرج فصعق ، ورآها الصفي فمكث ، فنزل عقب هذا الحديث من عندي فلما لقيه فعل معه ما فعل ، جزاه الله عنا ما هو أهله •

أخبار الحرار مع محي الدين بن عربي :

وكتب له الشيخ محي الدين بن العربي كتاباً من دمشق قال له فيه : يا أخي أخبرني بما تجدد لك من الفتح ، قال لي الشيخ : اكتب ، قل له : جرت أمور ، وردت عربية النظر عجمية الخبر ، فكتب إليه أبن العربي : ياأخي توجه إليّ بها بباطنك وأجيبك عنها بباطني ، فَعَزَّ ذلك على الشيخ منه ، فقال لي : اكتب قل له : « أشهدتُ الأولياء دائرة مستديرة في وسطها اثنان أحدهما الشيخ أبو الحسن بن الصباغ ، والآخر رجل أندلسي فقيل لي : أحدهما هو الغوث ، فبقيتُ متحيراً من هو فيهما ، فظهرت لهما آية فخرا ساجدين فقيل لي : الذي يرفع رأسه أولاً هو القطب الغوث ، فرفع الأندلسي رأسه أولاً فتحققت ، فوقفتُ إليه وسألته سؤالاً بغير حرف ولا صوت ، فأجابني بنفثه نفثها،فأخذت منها جوابي،وسرت بساير دائرة الأولياء،آخذ منها كل ولي بقسطه ، فإن كنت يا أخي بهذه المثابة تحدثت معك من مصر » فلم يعد يكتب في ذلك شيئاً •

وقال الأستاذ صفي الدين : وحكيت هذه الحكاية للشيخ أبي الحسن بن الدقاق ، فقال : أعرف هذا الأندلسي ، اسمه أبو العباس الألسجي ، كان شيخنا محمد العجمي يجتمع به في أكثر الأوقات ، وحكى عنهما حكايات تذكر في غير هذا الفصل إن شاء الله تعالى •

رسالة الصباغ لأبي العباس الحرار :

وكتب إليه الشيخ أبو الحسن بن الصباغ رضي الله عنه كتاباً نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم،من علي بن حميد[1] للأخ في الله تعالى أبي العباس أحمد ! أيها الأخ الغريب في وقته ! اسمع بثي عليك وشكايتي إليك ، فقد خلت المحاريب من المجتهدين ، وتداعت بالخراب مساجد الراكعين والساجدين وصارت ديار الحق أطلالاً ، وصاحب الدين ممقوتاً ، وصاحب الدنيا مرفوعاً ، واستطال الغني على الفقير ، وتغلب كل شيطان مريد وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأصبح الداعي إلى الله مهجوراً ، وأمسى الداعي إلى الهوى متبوعاً ، فطوبى لمن أطلق لسانه بذكر الله ، وتطهر قلبه مما سواه ، وامتلأ سره بمحبة الله ، وانطوى ضميره بنية الخير لعباد الله ، ونعست روحه شوقاً إلى الله واكتنفت نفسه بعلم الله ، وكان له سر حسن مع الله ، يا أخي خذ ما صفا ودع الكدر ، فما العيش كله إلا في الصفاء ، واعرف قدر العافية واشكر عليها ، وارض بالله كفيلا، يكن لك وكيلا ، وعظمة تعظم به، واذكره تذكر به والسلام. معاد الله عليك وعلى جميع من لديك ، ورحمة الله وبركاته ، صلى الله على سيدنا محمد وآله .

فقلنا للشيخ[2] : ما العافية التي تعرف قدرها والشكر ؟ قال النظر إلي وجه الله الكريم .

---

(١) علي بن حميد (التراث الروحي في مصر) للخفاجي ص ٩٥ ـ وجامع كرامات الأولياء ٢/٦٨ هو تلميذ القنائي اسمه أبو الحسن علي بن حميد بن الصباغ القوصي . ذكره الحافظ المنذري وأنه اجتمع به في قنا سنة ٦٠٦ هـ . ذكر الشيخ علم الدين أبو طاهر المنفلوطي في رسالته أنه مات في قنا سنة ٦١٣ هـ ومن تلامذته يوسف بن محمد أبو الحجاج .

(٢) الحرار والمتكلم هو الصفي .

وكان الشيخ قال لي لما رآني أتراخى للمجاهدة والرياضات،لولا والداك بعثتك للشيخ أبي الحسن يربيك ، مع علمه بأنني ولده وحوالتي عليه وسبق علمه لي ، لكنه قال هذا باعترافه له بالتربية ولمبالغته في النصيحة في أمري ·

كيف تجلت للحرار شمس الحقيقة :

وقال رضي الله عنه تجلت لي شمس الحقيقة يعني الرسوبية في حجاب صدور أربعة من الرجال : الشيخ أبو أحمد جعفر ـ الـذي هدمه وبناه ـ والشيخ القرشي والشيخ أبو يوسف الدهماني والشيخ أبو الحسن بن الصباغ رضي الله عنهم ونفعنا بهم ·

لا يستجاب دعـاء :

وقال رضي الله عنه : لما جاء الغلاء الكبير إلى مصر توجهت بأن أدعو فقيل لي لا تدعُ ! ما يسمع في هذا دعاء كباركم ولا صغاركم ـ يعني الأولياء ـ·

ومثل هذا الخطاب في أمر الغلاء ، ورد على الشيخ القرشي قال : هممت أن أدعو برفع الغلاء ، فقيل لي لا تدعُ فما يسمع لأحد منكم في هذا الأمر دعاء ، فسافرت للشام فلما وصلت للخليل[1] تلقاني رسول الله الخليل حـين ورودي عليه ، قلت له : يا رسول الله اجعل ضيافتي عندك أهل مصر ، فدعـا لهم ففرج عنهم ·

أخبار الشيخ القرشي :

وكان هذا الشيخ القرشي عظيم الشأن قال : صحبت ستمائة شيخ اقتديت

---

(١) مدينة في فلسطين فيها قبر النبي إبراهيم الخليل ·

والتزمت منه بأربعة : الشيخ أبو الربيع[1] ، الشيخ أبو اسحق[2] بن طريف ، صاحب الشيخ القطب[3] أبي النجا المدفون بفوها من بلاد مصر • والشيخ أبو زيد القرطبي ، والشيخ أبو العباس الجوزي ، وقوله ستمائة شيخ إشارة إلى أن كل من حصلت له منه فايدة عده شيخاً رضي الله عنهم أجمعين •

أعمى وتراه زوجته بصيرا :

ومن حكاياته رضي الله عنه أنه كان مجذوماً ضريراً،وأن سبب جذامه حال ورد عليه فثبت له فتفتح جسمه ، فدخل عليه بعض نسائه يوماً فوجدته بصيراً، نقي الجسم ، فلما نظرته قال : أأبقى لك هكذا ؟ قالت له : يا سيدي كن كيف شئت ، إنما مقصودي خدمتك وبركتك •

وكان قد تزوج بثلاث زوجات أولهن[4] يقال لها (كفاه) ماتت في عصمته

---

(١) الشيخ أبو الربيع المالقي • انظر جامع كرامات الأولياء ٢/٣٠ حكى عنه اليافعي وعن كراماته • نفخ الطيب ٢/١٧ • ولد سنة ٥٦٤ هـ قدم القاهرة وتوفي بها سنة ٦٣٤ هـ •

(٢) أبو اسحق بن طريف • انظر طبقات المناوي ص ١٧٩ • هو شيخ الشيخ ابن عربي • سمعه يقول سنة ٥٨٩ : « يا أخي ما أرى الناس في حقي إلا أولياء عن آخرهم ، من قال بي خيراً فقد وصفني بصفته ، فلولا أنه لتلك الصفة ما وصفني بها ، ومن قال شراً فقد أطلعه الله على حالي فإنه صاحب فراسة »• وله أقوال كثيرة جميلة منها : « رؤية الفضل والمنة في العمل وإن قل ، أثم في حق واجب الربوبية من رؤية التقصير عن المقام بحق العبودية » • ومنها قوله : « إذا خدم المريد المشايخ والإخوان بالأدب عادت عليه من بركات أحوالهم ما لم يبلغه بعمل ، لأن ما يرد عليه من ثواب أعمالهم المتقبلة ، وما يرد عليه منه ، هو ثواب عمله ولا يقدر على تخليصه •

(٣) القطب أبو النجا سالم : جامع كرامات الأولياء ٢/٢٠ قال الشيخ العارف عتيق: كنا في ركب الحاج فأدرك الناس عطش شديد ، وقل ماؤهم فلجأ جماعة من أهل الركب إلى الشيخ أبي النجاسالم بن علي فاعتزل عنهم ودعا الله عز وجل وتشفع إليه بالنبي ﷺ فأرسل الله عليهم المطر حتى عم الركب بأجمعه من حجة الله على العالمين •

(٤) الأفضل : أولاهن •

فتزوج بابنة رشيق[1] ، ثم زارها يوماً وأصحابه معه في التربة المنسوبة إليه والتي فيها الفقيه أبو الطاهر وغيره ، فلما جلس عند قبرها قال لأصحابه لايبقى أحد في التربة ، فخرج الجميع وبقي هو وحده عند قبرها ، فسمع شخص من أصحابه كان عند باب التربة وهو يجاوبها ويقول : ما تعرفين أنني مريض ولا أستغني عمن يخدمني فأنا معذور ، ثم خرج فقال لي هذا الذي سمع الكلام وهو ابراهيم بن[2] فارس كان من أصحاب الشيخ : قال لي الشيخ ليلة ونحن بايتين معه في جوسق ابن القسطلاني يا إبراهيم مدّ نظرك ، فنظرت فإذا بعمود نور من السماء إلى الأرض قال : يا بني هو متصل بقبر كفاه يعني زوجته ، وتزوج بزوجة أخرى من أهل مكة وهي أم الشيخ الفقيه القسطلاني ومدرس مدرسة الحديث بالقاهرة .

دخول الخضر عليه :

وذكرت رضي الله عنها أنها كانت عنده يوماً وحدها ، والباب مغلق فقامت عنه لتقضي حاجة خارج الطبقة التي هو فيها ثم عادت إليه فسمعت عنده حس رجلٍ وكلاماً فتوقفت وافتقدت الباب ، وجدته مغلقاً فبقيت إلى أن انقطع فخرجت إليه فوجدته وحده كما تركته ، فقالت يا سيدي : سمعت عندك حس رجل والباب مغلق ، قال هو الخضر دخل علي وفي يده حبة . قال : هذه جئتك بها من أرض نجد وفيها شفاء مرضك . قلت لا أريد . اذهب أنت وحبتك لا حاجة لي بها .

---

(١) ابنه رشيق ، لعل رشيقاً هو الحسين بن أبي بكر الحسين أبو عبد الله بن رشيق الصوان ـ وهناك ترجمة لابن رشيق أنه محمد بن أبي بكر بن الحسين ، أبو عبد الله الصواف بن رشيق . تكملة اكمال الكمال ص ٣٩٨ .

(٢) لعله أبو اسحق إبراهيم بن عمر بن نصر بن فارس البرزي المعروف بابن برهان. تكملة الاكمال ص ٣٩ .

ومن كلامه قال[1] : الفقير لا يأكل إلا بعوض،يعني يتحقق العِوض للمَطعِم حين إطعامه له ٠

طاهر الخطيب :

وجرت قضية منه في هذا المعنى ٠ وهو أنه سافر من مصر لبلبيس[2]لزيارة الفقيه عيسى بن قطران ، وكان رجلاً كبيراً وكان الشيخ القرشي راكباً في محارة[3] على جمل،ووالدي[4] جمال الدين بن أبي المنصور عديله على الجمل٠ وفي محارة قبال محارة الشيخ ٠ فإنه كان صاحبه ، وكان الشيخ يحبه فركبه معه وسائر أصحابه يمشون ، وكان من جملتهم الفقيه أبو الطاهر المحلي خطيب مصر ، كان ذلك الزمان فقيراً طالب علم صحبه الشيخ ولزمه وانتفع به ٠ وكان للشيخ كرسي يتوضأ عليه معلق في مساعد المحارة فوقع فأخذه الفقير أبو الطاهر وحمله على رأسه ومشى تعظيماً وتنعماً بحمله ٠ فقال لشيخ من المحارة[5] يا قوم ! ابن طاهر أين هو ؟ قالوا له : يا سيدي يمشي في آخر الجماعة وعلى رأسه كرسيك ، فسكت ، فلما وصلوا لبلبيس قال الشيخ : صيحوا الطاهر الخطيب ولم يكن خطيباً قط فتعجبوا من ذلك ، فوُلّي أبو الطاهر خطابة مصر بعد أربعين سنة ٠ لما حمّله كرسيه عوّضه عن حمله على رأسه أن رفعه على أعلى الكراسي وأفضلها ، بعلمه أن ذلك حقيقة تسمية الشيخ له خطيباً ٠

---

(١) أي الشيخ القرشي ٠

(٢) بلبيس : مدينة في مصر بينها وبين الفسطاط عشرة فراسخ على طريق الشام٠ معجم البلدان ٠

(٣) محارة : ما يشبه الهودج (القاموس المحيط) ٠

(٤) والد المؤلف ٠

(٥) الكلام للشيخ القرشي ٠

أبو الطاهر المعيد :

وسافر أبو الطاهر معه إلى القدس ، فعبر يوماً مدرسة بالقدس والفقهاء جالسون على بابها بأعظم هيئة ولباس وصور وتعاظم في زيهم ، أكثرهم أعجام، فاستحيا يعبر عليهم لحقارته في نفسه وهو شاب فقير أسود ، رث الحال ، فلما رجع الشيخ وبات معه إلى الصبح قال له الشيخ : يا طاهر امض إلى المدرسة التي عبرت عليها كن بها معيداً ، فتعجبت[1] وعظم علي : واستحلت وقوعها ولم يمكنّي إلا الامتثال،فجئت إليهم وأنا أتوهم أن البواب يمنعني من الدخول، فلم يمنعني فدخلت ، وجدت المدرس جالساً وحلقة كبيرة دايرة[2] عليه • فجيتُ فجلستُ بين اثنين في الحلقة فلم يفسح لي أحد منهم أن أدخل في الحلقة ، احتقارة واستهانة منه بي إلى أن جلست على كتف اثنين[3] منهم ، وإذا برجل قد دخل من باب المدرسة • فلما رآه المدرس قطب وجهه ، وقام إليه يتلقاه ، ثم انفضت الجماعة بأسرها ، قلت للذي أنا إلى جانبه ، من وراء ظهره : يا أخي ما للجماعة ؟ قال : هذا الذي دخل رجل جدلي" خلافي" لا يطاق ، إذا جاء لا يبقى للشيخ كلام إلا ملاطفته ، ولا يستطيع أحد مجاراته ، فلما تلقاه الشيخ أجلسه في مكانه ، فلما قعد استفتح وألقى مسألة خلافية عَقِدة فلما استكمل ايرادها فتح علي في حفظ سؤاله والجواب عليه ، فزاحمت فدخلت بين اثنين ، وانطلق لساني ونصَّيْتُ[4] جوابه ما غيرت فيه • قال المؤلف رضي الله عنه : وهذا من نكت المناظرين أي إعادة السؤال ــ ثم أجبت ــ بما فتح الله علي ولم أكن قرأت علم الخلاف ولا ناظرت • فاستعظم الفقيه حديثي وتعجب المدرس مني ، وبهتت الجماعة من أمري ، وقال المناظر للمدرس : من أين لكم

---

(١) الكلام لطاهر الخطيب •

(٢) أي حوله •

(٣) مبالغة ليبين شدة الازدحام •

(٤) أي ذكرته بنصه •

هذا[1] الفقيه ؟ قالوا : ما رأيناه إلا في هذه الساعة ففرح المدرس بأن[2] كان في حلقته من أجاب هذا المناظر ، وقال المناظر للفقيه : لمثل هذا بنيت المدارس . قال المدرس : يا فقيه ! ما[3] اسمك ؟ فذكرت اسمي ، قال : قد وليتك : والتفت للنقيب وقال : عين له من الجماعة طائفة تقرأ عليه ، ثم قام وقمت مع الجماعة فقال لي المدرس : عادتنا إذا استعدنا معيداً نودعه حال توليته إلى منزله ، فلما خرجت من المدرسة قصد أن يمشي هو والجماعة معي سألته أن يعفيني من ذلك فقبل ورجع ، فجيت للشيخ ، فلما دخلت قال : يا فضولي ولأي شيء منعته أن يفعل عادته ويوصلك إلى منزلك قلت : يا سيدي حملاً عن خاطرك .

وبقيت بها إلى أن انتقل ودفن بظاهر بيت المقدس ، فسافرت إلى مصر .

رسالة شفوية :

وقال رضي الله عنه : بعثني أحد شيوخي الذين صحبتهم برسالة شفوية[4] إلى أخ له في بلد أخرى وكان بين البلدين مسافة أيام وغابات فيها السباع فقال لي : امض لأخي فلان وقل له كذا وكذا ، ولم يكن بينهما دعوة ولا كلمة ينشط فيها نفسي ، فامتثلت إشارته ومشيت فكنت أجد السباع عن يميني وشمالي ولا يتعدون[5] علي . فجعت فخرجت لي يد من شجر الغابة برغيف فأكلته ومشيت إلى أن وصلت للشيخ الذي سيرني إليه ، فقدمت وسلمت عليه وقلت له : يقول لك الشيخ كذا وكذا ، قال لي سلم عليه وقل له : كذا وكذا ، ما فيها كلمة سلام علي ولا استرح[6] ساعة ولا كل[7] كسرة ، ولا كتب الله

---

(١) في الأصل : هذا الفقيه من أين لكم هو .
(٢) بمعنى إذ كان .
(٣) في الأصل كيف اسمك ؟
(٤) في الأصل قول .
(٥) يقصد لا تتعدى علي وفي الأصل ولا يتعدوا .
(٦و٧) في الأصل استريح وآكل .

سلامتك ولا أنني آدمي له قدر ، وهو مطلع على ما جرى في الطريق من الكرامات ، فعدت على حالي على الطريق التي جئت منها إلى أن وصلت للشيخ فأخبرته بجوابه فسمعه وسكت.ولاشيء مما تعلق النفس به من الخط والبشرى، وهو مطلع على ماجرى لي في الطريق .

القرشي يحس بالمرأة والفرس مع إنه أعمى :

وقال شيخنا[1] رضي الله عنه : خرج الشيخ القرشي يوماً للحمام فقدموا له دابة ليركبها فقال ادفعوا صريمة[2] الدابة لأحمد الحرار فأخذتها فمشيت ، وصلنا لرأس زقاق القناديل وكان ذلك تسكنه الأساكفة[3] رأيت امرأة منحنية تقلب وطاء في جنب الطريق وفرس في الجانب الآخر ، والزقاق ضيق فقال لي يا شيخ أحمد[4] ! قلت نعم قال : المرأة والفرس سدا الطريق ؟ قلت له نعم . فلما وصلنا اليهم افترقوا وعبرت بالشيخ .

ولما تكاثر منه كثرة رؤية الأشياء والإخبار بها مع كونه ضريراً ، قيل له عن ذلك قال : كلّي عين ، فبأي عضو أردت أن أنظر نظرت .

رأي القرشي في بعض الشيوخ :

وسئل عمن كان من الأصحاب ، فقيل له : ما تقول في أبي عبد الله القرطبي[5] قال : لو بُعث غبي في هذا الزمان ، لبُعث في صدقه .

---

(١) يقصد الحرار .
(٢) صريمة الدابة : الصَرَم : الجلد (معربة) .
(٣) يقصد : أساقفة .
(٤) في الأصل : الشيخ أحمد .
(٥) أبو عبد الله القرطبي نفخ الطيب ١/٣٤٩ محمد بن علي بن الحسين بن أبي الحسين القرطبي . وكان ضابطاً بالنحو واللغة . ولي الشرطة ببلاد المغرب . توفي سنة ٣٧٣ هـ .

فما تقول في أبي العباس[1] القسطلاني ؟ قال : أزهدهم ، يعني أصحابه[2] فمـا تقول في ابن العقيل أبي الطاهر قال : أعقلهم ، قيل[3] لـه : فما تقول في أبي الطاهر المحلي ؟ قال : رجل مسلم ، فما تقول في أحمد الحريري ؟ قال : ذاك ولي الله .

وكرامات الشيخ القرشي عظيمة كثيرة بقي منها في الذهن هذا القدر الذي ذكرناه ولنا بحمد الله منه نسبتان إحداهما[4] صحبة سيدي له والأخرى صحبة والدي جمال[5] الدين له ، وفي أيام صحبة والدي له رضي الله عنهـم أجمعين ولدتُ ،

أخبار الشيخ محمد الزغبي :

وممن رأيته من الأكابر في الشرق في حران من ديار بكر رجل يقال له : الشيخ محمد الزُغبي من غرب العراق صحب الشيخ الإمام عبـد القادر[6]

---

(١) أبو العباس القسطلاني هو أحمد بن علي القسطلاني المصري من تلاميذ القرشي المتوفي سنة ٦٣٦ هـ ١٢٣٨ م . راجع معجم المؤلفين ٢/١٧ . وابن العماد : شذرات الذهب ٥/١٧٩ .

(٢) في الأصل أصحبه .

(٣) قيل له : غير موجودة في الأصل .

(٤) في الأصل أحدهما .

(٥) المتكلم هنا المؤلف صفي الدين .

(٦) عبد القادر الكيلاني ، راجع جامع كرامات الأولياء ج ٢/٨٩ و ج ٢ ص ١١٤ قال عنه سلطان الأولياء وإمام الأصفياء توفي سنة ٥٦١ هـ . وهو عبد القادر ابن موسى بن عبد الله الكيلاني الحسني محي الدين الصوفي . تنسب إليـه الطريقة القادرية ، ولد بكيلان سنة ٤٧٠ هـ . دخل بغداد فسمع الحديث وتفقه، ودفن بمدرسة بباب الأزج . من تصانيفه الكثيرة « الفتح الرباني » . راجع ترجمته في معجم المؤلفين ٥/٣٠٧ وابن كثير في « البداية والنهاية » ١٢/٢٥٢، واليافعي في « مرآة الجنان » ٣/٣٤٧ ـ ٣٦٦ وراجع جامع الكرامات ص ٧٨. و « تاريخ السليمانية » ص ٢١١ وابن شاكر الكتبي في « فوات الوفيات » ٢/٢ ألف في مناقبه . الكثير منها « بهجة الأسرار ومعدن الأنوار » للخمي . و«قلائد الجواهر» للتادفي . و«تفريج الخاطر في مناقب تاج الأولياء» وغيرها.

الكيلاني وكان عمره حين رأيته ثمانين سنة وهو كأنه الرمح ولحيته سوداء كالسَبَج[1] • كان يسكن بالرقة فشكوا له واليها ، فاتفق أنه حضر إليه أو لقيه فقيل له : هذا والي الرقة ، فصاح عليه فيها صحيحة قال له فيها : مت • فمات في الوقت •

وكان يجيء إلى عند والدي في حران ، فجاء يوماً وجلس في مكان فبعثني والدي إليه برسالة أقولها له ، فلما رأيته هبته فجلست بعيداً منه ولم أقل له شيئاً فقال : تعال ، فجئت إليه فقال : لم لا تقول الرسالة التي معك ؟ فسكت • قال : قل له كذا وكذا • أعطاني الجواب عن الرسالة وكان يوماً في دار بجوار دار العافية ظاهر حران وبينها وبين حران نهر يقال له الجلابي وكانت عنده امرأة يقال لها الحاجة رومية ، كانت في دار الملك العادل ، ربت أولاده الملوك، وكانت تسافر بينهم وتتردد لرؤيتهم ، وكانت عنـد الملك الأشرف[2] تركب البغال ، ولها حرمة فترددت للشيخ محمد الزُغبي وصحبته وواخته[3] وهـي امرأة عجوز فأجابها للأخوة فبينما هي يوماً عنده ونحن حاضرون تحدث الشيخ بما يتحدث به من نعمة الله ، خرجت عليه الحاجة رومية وقالت : كم فشار[4] أي الناس من شدة من عدم المطر وقد استشعروا الغلاء وأنتم غافلون عنه ، وأكثرت

---

(١) السَبَج بفتحتين الخرز الأسود •

(٢) الملك الأشرف هو موسى بن محمد العادل بن أبي بكر محمد بن أيوب ، مظفر الدين أبي الفتح ، من ملوك الدولة الأيوبية بمصر والشام ، أول ما ملكه مدينة الرها ، مولده بالقاهرة سنة ٥٨٧هـ ووفاته بدمشق سنة ٦٣٥هـ ـ ١٢٣٧م شجاع حازم كريم موفق في حروبه وسياسته ، من آثاره دار الحديث الأشرفية بسفح قاسيون • راجع تاريخ الصالحين ١/ ٩٥ ووفيات الأعيان ٢/ ١٣٨ وذيل الروضتين ص ١٦٥ ، الدارس ٢/ ٢٩٢ مرآة الزمان ٨/ ٧١١ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٠٠ •

(٣) من المؤاخاة •

(٤) ربما يقصد تشاءم الناس •

من هذا بإدلال الأخوة فسكت الشيخ عنها ، فقامت وركبت بغلتها ، ومضت تدخل لمدينة حران ونهر الجلابي وعليه جسر يعبر الناس عليه ، فلما وصلت للجسر أرسل الله المطر وللوقت هبت ريح رمت الحاجة رومية من على البغلة في الطين ، فحملوها وركبوها ، رجعت ودخلت على الشيخ فقالت له : قلنا أنزل المطر[1] ، رميتني من على البغلة في الطين ، لأي شيء ؟ قال : لفضولك .

الشيخ الزغبي والسجادة :

قال المؤلف رضي الله عنه : وزارة والدي ومعه حاجب يقال له سعد[2] الدين ، أخذ معه سجادة ليقدمها للشيخ ، وتركها مع غلامه حتى إذا خرج والدي من عنده يدخل بها[3] له ، وكان[4] عند حضور والدي لعند الشيخ قايماً على رأس والدي في الخدمة ، فرفع الشيخ الزغبي رأسه للحاجب وقال : أتأتي لنا بسجادة وتتركها مع الغلام اخرج أحضرها ، فخرج وأحضرها ثم[5] قال له الشيخ : زوجتك حامل ؟ قال : نعم ، قال : تأتيك بغلام اسمه فلان وذكر اسمه ، وبعد أيام وضعت له غلاماً وسمي بالاسم الذي ذكره . وحصلت لنا بصحبته نسبة من الشيخ الكبير عبد القادر[6] رضي الله عنه .

الشيخ عتيق وأبو النجا :

ورأيت الشيخ الكبير ــ بدمشق ــ الولي عتيقاً أخص أصحاب الشيخ القطب أبي النجا سالم رضي الله عنه . وكان هذا الشيخ عتيق صحب الشيخ

---

(١) تقصد المرأة أن تقول : ادع لنا بنزول المطر لأن نزول الغيث من اختصاص الله عز وجل .

(٢) سعد الدين من أصحاب جمال الدين بن ظافر الأزدي الأنصاري والد المؤلف .

(٣) يدخل بالسجادة على الشيخ .

(٤) أي الحاجب .

(٥) في الأصل بدون ثم .

(٦) الكيلاني .

أبا النجا من بلده ولم يفارقه إلى أن مات بفوه[1]. قال لي : يا ولدي ! كنا في صحبة الشيخ أبي النجا أربعين ولياً ثابتي القدم بـ الولايـة ، منهم الشيـخ عبد الرحيم[2] أحد الأقطاب ، شيخ الشيوخ وشيخ الشيخ أبي الحسن بـن الصباغ ، ومنهم الشيخ أبو الربيع[3] ، والشيخ أبو اسحق[4] بن الطريف شيخ شيخنا الشيخ القرشي رضي الله عنهم ونفعنابهم،ومنهم المرياقيون الثلاثة: أبو العباس[5] وأبو الحسن[6] وابراهيم[7] .

سفر عتيق وأبي النجا :

قال[8] سافرنا مع الشيخ[9] من بلد ما يورق من المغرب وكان ترتيبه معنا أن كل بلد وصل إليها يكتري لنا داراً ينزلنا فيه ، ويرتب كلاً منا في ترتيبه وشغله ويخرج وحده يفتش على من يراه من الرجال فيها ، فإذا استوعب رؤية من يراه منهم سافر .

قضيب البـــان :

إلى أن وصل بنـــا إلى الموصل فأنزلنـــا في وسطهـــا بركـــة ماء وخرج

---

(١) فوّه بليدة على شاطىء النيل من نواحي مصر قرب الرشيد ، بينها وبين البحر نحو خمسة فراسخ أو ستة وهي ذات أسواق ونخل كثير معجم البلدان ٣/٢٨ .

(٢) الشيخ عبد الرحيم أحد الأقطاب وهو شيخ شيوخ أبي الحسن بن الصباغ راجع كرامات الأولياء ٢/٦٧ وراجع جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف . للمنوفي ١/٢٤٨ وهو عبد الرحيم بن أحمد القناوي السبتي الأصل مات بقنا في صعيد مصر سنة ٥٦٢ هـ .

(٣) أبو الربيع سليمان المراكشي انظر ص ١٣٩ .

(٤) أبو اسحق بن طريف . لم نجد له ترجمة في كتب المراجع .

(٥) أي الحرار .

(٦) أي ابن الصباغ .

(٧) لم نجد له ترجمة والمرياتيون نسبة الى ما يورقه .

(٨) الشيخ عتيق .

(٩) مع أبي النجا .

على عادته ، فنحن جالسون يوماً وإذا بقضيب البان[1] المشهور قد دخل بأطماره وشعثه ، قال أين الشيخ ؟ قلنا له : خرج ، قال : خرج يتشيطن؟ فعز علينا ذلك في حق الشيخ، فقال له واحد منا : كذب شيطانك . فأظهر الغيظ ورمى أطماره عنه ، وبقي قائماً على جنب البركة عرياناً يسكب الماء على جسمه، ثم لبس أطماره وخرج . فبعد ساعة والشيخ قد جاء ، فلما دخل ، كأنه أدرك شيئاً . قال لنا : من جاءكم؟ قلنا ياسيدي ! قضيب البان . قال : قولوا لي أيّ شيء قلتم ؟ وقال ؟ وي شيء عملتم وقلتم ؟ فحكينا له ما جرى ، فقال للذي قال لقضيب البان كذب شيطانك : صدق قضيب البان وكذب شيطانك فيما قلته له . قلنا : يا سيدي ! فكيف يصدق عندما قال ؟ قال الشيخ : كنت في تلك الساعة جالساً مع أتابك الموصل ينافقني وأنافقه ، ثم قال : الآن كما أطلعني الله سبحانه على سر العورة التي أمر الله بسترها ، ولم يوضحه الشيخ ، ولا تكلم فيه أحد من أصحابه . فبعد ساعة وإذا بقضيب البان قد دخل فقام له الشيخ وأجلّه وأقبل هو على الشيخ باعتدال وحضور لا وله ولا خبال ، فتفاوضا وتكاشفا ، وفي آخر حديثهما قال الشيخ قضيب البان للشيخ : أخبرني بكل رجل رأيته من بلدك ، إليّ هَلُمّ . فذكر له الشيخ جميع من رأى ، فما من رجل يذكره الشيخ أبو النجا إلا ويذكر له قضيب البان وزنه . يقول له عند ذكر كل رجل منهم : وزنة هذا نصف رجل ، وهذا ربع رجل . إلى أن ذكر له رجلين قال له عن كل منهما : هذا وازن ، هذا كامل ثم ذكر شيخاً كان

---

(١) قضيب البان : انظر ترجمة الأولياء في الموصل للحدباء « لأحمد بن الخياط الموصلي من ص ٧٠ ــ ٧٩ .
هو الشيخ قضيب البان الموصلي ولد بالموصل في رجب سنة ٤٧١ هـ ومات بها سنة ٥٧٢ هـ ينتسب إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهم . واسمه الحسين ابن عيسى أبو عبد الله ، انظر « جوهرة البيان في نسب قضيب البان » و « منهل الأولياء » و « الانتصار للأولياء الأخيار » و « بهجة الأسرار » و « طبقات الشعراني » .

مشهوراً في بلاد المشرق قال له عند ذكره : من الرجال من يرفع صوته ما بـين المشرق والمغرب ولا يسوى عند الله حبة جناح بعوضة • ثم قال قضيب البان للشيخ : يا أبا النجا ! إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفـه إلا العلمـاء بالله ولا ينكره إلا أهل العـزّة بالإثم ثم بعد هذا الحديث قال له الشيخ : ما أعرف له تماماً قال قضيب البان : تمامه : فلا تحقرن عبداً آتاه الله علماً ، فإن الله لم يحقره حين آتاه ذلك العلم • ثم ودع الشيخ ومضى • وسافر الشيخ •

قال المؤلف رضي الله عنه : وهذه الحكاية يتداولها الناس وأنا سمعتها من شيخي العتيق ، كان حاضرها وفيها نكتتان قد فتـح الله في بيانهما قول الشيخ : أنه كان ينافق أتابك الموصل قصد به تصديق قضيب البان ، فكان أتابك الموصل ينافق وهو أنه يتصور بظاهره مع الشيخ بما لا يتحقق بـه في الباطن فهو نفاق • والشيخ يداريه ملاطفة له • والمداراة تشبه في الظاهر النفاق وبينهما فرق وهو النية ، لأن المداري نيته خير في حق من يداريه • والنكتة الأخرى العظيمة : السر الذي اطلع عليه الشيخ للعورة ، ولم يوضحه ، بيان ذلك ببركات الشيخ الأستاذ نفع الله به : أن سر العورة الشهوة فمن لا شهوة له لا عورة له • كان آدم صلى الله عليه وسلم في في الجنة لم يكن له عورة ولا تصورت في خلقته ، فنهى عن الأكل من الشجرة فحسّنَ لـه العدو[1] أكلها فظهرت الشهوة في نفسه ، فغلبت عليه الشهوة فحين أكله تكونت له العورة وتشخصت وظهرت الشهوة في نفسه • فغلبت عليه الشهوة فأخذ هو وزوجته يخصفان عليهما من ورق الشجر ليستراها قال الله تعالى « فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما » وترتّب خلقه العورة وصورتها ، في خلقة آدم عليه السلام ، من ذلك الوقت • وتركّبت في بنيه • ومع تركيبها في الصور البشرية لا تتحرك إلا بورود الشهوة تحركها والله أعلم •

---

(١) الشيطان •

الطاحون تدور وحدهـــا :

وقال لي الشيخ[1] : كنا مع الشيخ[2] في مكة وكان قد رتب الطحـين بيننا بالنوبة[3] . فجاءت نوبـة أبي إسحق بن طريف للطحين ، فتأخر عنا في البيت ليطحن . وكنا نحن في الحرم . فاحتجت للوضوء فجئت للبيت . فوجدت أبا إسحق يصلي والطاحون تطحن القمح ، وتدور وحدها . فسكتُّ ولـم أُعلمْه بأنني رأيته .

قصة الطواقي :

وكنت[4] أخيط فجاءني رجل جندي وأعطاني خرقة فقال : فصّل لي هذه طاقية وخيطها لي . وكانت الخرقة مقدار طاقيـة ، ففصلتُها أنا أربـع طواقي[5] . فبعد هذا جاء الجندي وطلب طاقيته . وكان أبو إسحق بن طريف جالساً عندي فأخرجت الطواقي : كل واحدة قدر رأس القط وقلت للجندي : اقعد واكشف رأسك ففعل . أخذت كل طاقية وسميت بالله تعالى وألبستها له. فقال ابن طريف : ما هذا يا أخي يا عتيق ؟ قلت هذا يا أخي مثل طحينك أمس.

يعمل تسنيماً :

ودخلت[6] يوماً على سيدي الشيخ عتيق وكان بكرة[7] الجمعة فقلت له : يا سيدي ! هل تخرج اليوم إلى الجمعة ؟ قال : لا ، أنا ضعيف وكان شيخاً كبيراً في عشر المائة ، ثم عدت له قبل الجمعة فوجدته قد اغتسل وهو يلبس أثوابه للجمعة ، قلت : يا سيدي أنت قلت إنك ما تخرج اليوم . قال : يا بني !

---

(١) يقصد الشيخ عتيق .
(٢) يقصد الشيخ أبا النجا .
(٣) بالتناوب .
(٤) الشيخ عتيق .
(٥) الأصح طواقٍ .
(٦) القائل هو المؤلف .
(٧) أي صباح الجمعة .

بعد رواحك قال لي الحق سبحانه : اخرج للناس ، اعمل لهم تسنيماً ، فامتثلت الأمر وها أنا خارج •

وشرح هذا أنه كان من المقربين ، فيخرج ليجتمع به الأبرار فيمزج لهم أشربتهم من شرابه • قال الله تعالى في حق الأبرار في الجنة عن أعين شرابهم الكافور ومزاجه من تسنيم (عيناً يشرب بها المقربون[١]) •

فضيلة على الخلق :

وحضر عنده[٢] يوماً جماعة من الفقراء منهم التماسكي[٣] من فقراء العراق ، سمع الشيخ عتيقاً وهو يقول : قال لي[٤] ، قال :[٥] يا سيدي من القائل لك ؟ قال له الشيخ : الله قال ، يا سيدي ، هذا القول ، كله منه ، قال : نعم • وكان يمسك بيدي كلما قمت وقعدت ، قال : يا سيدي ! هذا لك وحدك ؟ قال له الشيخ عتيق : هذا فعله مع سائر خلقه • قال له التماسكي : فما فضيلتك عليهم ؟ قال له الشيخ : أنا أبصره • وهو[٦] ما يبصر •

أكبر المحدثين :

وقد سئل الشيخ أبو الحسن بن الصباغ عن هذا الشيخ عتيق قال : هو أكبر المحدثين في هذا الوقت ، وما في من ظهر وخفي مثله •

يتغذى بالذكر :

وقال لي الشيخ عتيق : كنت في بدايتي ما سمعت عن أحد من الرجال

---

(١) المطففين ٢٨ وقوله (مزاجه من كنسيم) سورة المطففين الآية ٢٧ • وفي المختار التنسيم ماء في الجنة سمي بذلك لأنه يجري فوق الغرف والقصور •
(٢) عتيق •
(٣) التماسكي : من فقراء العراق ذكره ابن عربي في الفتوحات ٣/١٨٩ •
(٤) عبارة : قال لي •
(٥) التماسكي •
(٦) أي الخلق •

أنه عمل عملاً إلا وعملته ، حتى تذكرت الملائكة وأنْ غذّاهم التسبيح فأقمت مدة أتغذى بالذكر وأشبع منه بالتغذي كما أشبع منه بالطعام •

كيف تطيرهم في الهواء :

وقال لي : كنتُ مرة على جبل الربوة بدمشق • قلت لربي : يا رب هؤلاء الذين تطيرهم في الهوى[1] كيف تفعل ؟ فما فرغ مني الكلام إلا وأخذني رفعني في الهوى صوب السماء إلى أن صارت دمشق تحتي كمدور الدرهم قلت : أشهد أنك على كل شيء قدير • ردني إلى موضعي •

خبر عتيق مع الملك العادل :

وكان قاضي دمشق زكي الدين قد أخذه وأسكنه عنده في طبقة • فوقع للملك العادل أن يصادره • وطلب منه عشرين ألف دينار ٍ فجاء[2] للشيخ بعد أن أخذوا منه أربعة آلاف دينار وطلب من الشيخ أن يشفع فيه عند السلطان ، فقال الشيخ : نعم أشفع فيك عند الله ، قال له القاضي : أريد من سيدي أن يجتمع بالسلطان الملك العادل فقال : نعم • فمشى الشيخ للملك العادل ودخل عليه • فتلقاه السلطان واحترمه ، وكان قد تقدم بينه وبين السلطان لفظة أخوة • قال الشيخ : يا أخي لا تتعرض لأخي القاضي زكي الدين • فأخذ السلطان يلاطف الشيخ ويعتذر له • قال له الشيخ • ما تتركه مبارك • وقام ثم خرج وراح إلى منزله • كان السلطان نائماً بالليل ويرى أن[3] قد أحاطت به زبانية جهنم يقولون له : فرج عن القاضي لحديث الشيخ ولي الله ، وإلا أهلكناك • ففاق العادل من نومه مرعوباً وأمر بالإفراج عنه ورد ما أخذ منه • فقال الشيخ للقاضي قلت لك خليني أتحدث لك مع سلطاني • ما فعلت حتى كلفتني الحديث مع سلطانك • ونحن[4] بحمد الله

---

(١) يقصد الهواء •

(٢) القاضي زكي الدين •

(٣) في الأصل يرى قد •

(٤) الكلام لمؤلف الكتاب : صفي الدين •

صحبنا هذا الشيخ السيد ، وكان يلاطفني ويحدثني بأكثر أحواله ولي بطريق صحبته نسبتي من شيخه الشيخ أبي النجا نفع الله بهم أجمعين •

أخبار الشيخ علي الكردي :

ومن رأيت[1] بدمشق الشيخ علي الكردي • كان ظاهره الوله وكان يتحكم في أهل دمشق تحكم المالك • ولما دخلت دمشق ساعة دخولي لها • وكنت في حشكلة من الغلمان واللباس والأهل • وأنا حينذاك ابن لاثنتي عشرة سنة • قعدت في الجامع • وإذا بشخص قد أقبل له رأس كبيرة وعليه لباد مُقطّع ، فشق ساحة الجامع من باب جيرون ، إلى أن جاءني عند مقصورة الغزالي ، مد يده إليّ مملوءة تفاحاً ، وقال : خذ • ففزعت منه واستندت إلى من كان بجواري فرجمني بها تفاحة تخلف أخرى ومضى ، فبعد رواحه ، جاءنا الشيخ أبو القاسم الصقلّي ، كان رجلاً معتبراً مقيماً بدمشق ومعه الفقيه نجم الدين بن اللهيب وكان مدرساً بدمشق وكان خال والدي ، فأخبرناهما بخبر الرجل الذي جاءني بالتفاح ، فتعجبا من ذلك عجباً كثيراً وقالا لي : يا بني أبشر ! يكون لك شأن ، فهذا قطب الشام أتاك بالضيافة ، يقال له علي الكردي، وعزيز أن عمل مثل هذه مع أحد • فقمت ومشيت إليه إلى باب جيرون وقبلت يده ، فضحك لي •

علي الكردي مع بدر الدين :

وسألت عنه سيدي الشيخ عتيق فقال : يا بني ! إمام في وقته • وقال : هذا الشيخ علي الكردي لرجل من أعيان دمشق يقال له بدر الدين : اعجل للفقراء في دارك سماعاً وأطعمهم فقال : السمع والطاعة • فرتب الرجل طعاماً

---

(١) الكلام للمؤلف •

وقو"الأ" ودعا الفقراء المعروفين بالجامع وغيره . وبيناهم[1] مجتمعون وقد جاء الشيخ علي إلى الدار فرأى في صفة[2] منها مغلفات سكر فقال لصاحب الدار : إرم هؤلاء[3] كلهم في البركة . قال : بسم الله ورمى الجميع في البركة. وصار الفقراء يشربون الجلاب ويرقصون[4] حتى آخر النهار.أكلوا وانصرفوا. قال الشيخ علي : شيلوا غلف المغلفات شالوهم ، وجدوهم صحاحاً ، والسكر باق فيهم بمغلفاتهم . قال لصاحب الدار : أغلق عليّ الدار وأقفلها ، ولا تجئني إلا بعد ثلاثة أيام . فخرج صاحب الدار وتركه فيها وحده وقفل عليه الباب . في ثاني يوم وجده في الطريق فسلم عليه . وراح الرجل داره فوجدها مقفولة كما قفلها ، ففتحها ودخل . وجد أكثر بسط الرخام مقلّعاً[5] مثوراً[6] فخرج. فطلب الشيخ علياً ، حتى لقيه . قال له : يا سيدي لم ثوّرت رخام الدار فقال له : يا بدر الدين ! تكون رجلاً جيداً وتضيف الفقراء على رخام حرام ؟ ! قال له صاحب الدار : هذه إرثتي عن أبي وجدي . فغيظ عليه الشيخ وخلاه . ففكر صاحب الدار في فعل الشيخ وأعلم مكاشفاً به ،فذكر أنها كانت تشعثت وأصلح رخامها . فبعث وراء المرخمين الذين كانوا رخموها . قال لهم : عرفوني ما صنعتم في ترخيم الدار ؟ قالوا : هل فيه عيب ؟ أعملنا شيئاً في غير موضعه ؟ قال : لا بد أن تقولوا لي . وأمّنهم وبسط نفوسهم قالوا له : رخامك بعناه ورخمناها من رخام الجامع .

---

(١) في الأصل فهم مجتمعون .

(٢) في مكان مرتفع .

(٣) يقصد مغلفات السكر : ارميها كلها .

(٤) في الأصل يرقصوا .

(٥) في فوضى .

(٦) في روض الرياحين (مقلوعاً) فقط .

السهروردي يزور علياً الكردي :

ولما جاء الشيخ الإمام السهروردي[1] إلى دمشق في رسالة الخليفة للملك العادل بالخلعة والطوق وغيره قال لأصحابه:أريد أن أزور علياً الكردي. قال له الناس يا مولانا ! لا تفعل . أنت إمام الوجود وهذا رجل لا يصلي ويمشي مكشوف العورة أكثر أوقاته قال : لا بد لي منه . وكان الشيخ علي الكردي مقيماً بدمشق ، مقيماً بالجامع فدخل عليه مولى له يقال له . ياقوت . فساعة دخوله من الباب خرج علي من دمشق وسكن جبانتها بالباب الصغير ما دخلها إلى أن مات ، وياقوت فيها يتحكم .

السهروردي يزوره في الجبانـة :

ورأيت ياقوت هذا بالجامع بعد خروج علي منه ومن البلد فقال للشيخ شهاب الدين : هو في الجبانة ؟ فركب بغلته ومشى في خدمة من يعرّفه موضعه. فلما وصل إلى مكانه ترجّل وأخذ يمشي إليه . فلما رآه علي الكردي قد قرب منه فعيَّن بعورته إليه . فقال الشيخ شهاب الدين : ما هذا شي تَصُدّنا به عنك . لا بد لنا منك . أنا ضيفك . فأقبل عليه وجلس معه . وإذا بحمالين جاؤوا عليهم بمأكول معتبر . قيل لهم : من تريدون قالوا : الشيخ علي الكردي. فقال : هاتوه قدام ضيفي . وقال للشيخ شهاب الدين : إنما قلت إنك ضيفي ، بسم الله كل ، هذه ضيافتك . فأكل الشيخ وكان يعظم شأنه .

---

(١) الإمام شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله . أبو حفص شهاب الدين القرشي التميمي البكري السهروردي . مفسر واعظ من كبار الصوفية . ولد بسهرورد سنة ٥٣٩ هـ وفاته ببغداد سنة ٦٣٢ هـ – ١٢٣٢ م . كان شيخ الشيوخ ببغداد. أوفده الخليفة الى عدة جهات رسولاً أقعد في آخر عمره، له كتب منها : عوارف المعارف . انظر الأعلام للزركلي ٥/٢٢٣ ومعجم المؤلفين ٨/٣١٣ وطبقات الشافعية ٢/٦٣ ووفيات الأعيان ١/٤٨٠ والنجوم الزاهرة ٦/٢٨٣ والبداية والنهاية ١٣/١٣٨ وشذرات الذهب ٥/١٥٣ ومرآة الجنان ٤/٧٩ .

الشيخ حسن الطويل :

وممن رأيت بمصر من المشايخ الشيخ الصالح الولي حسن الطويل ، كان عظيم الشأن له حرمة عظيمة في القلوب • وكان الغالب عليه الخوف وكان من طلبة جدي الفقيه أبي المنصور[١] رحمه الله • وأكثر جلوسه في مقصورة عمر ومقصورة الصلاة بجامع مصر ، نذكر له كرامات كثيرة فمن جملتها أنه قام مرة في إظهار مسجد كان مختفياً في كنيسة • تعصب النصارى في منعه ومال معهم الملك الكامل • وثارت العوام والجمهور مع الشيخ حسن • فاتفق أن الملك الكامل نزل للبحر ، وكان ذلك الزمان بين الجزيرة ومصر • ينقطع البحر في الصيف ويبقى رمله ، فمشى السلطان بين الجزيرة ومصر والخلق قد وقفوا له بنفس الشيخ وقالوا : المسجد ــ المسجد • فخاف السلطان أن يرجموه • فدخل إلى صناعة[٢] الشواني تحصن فيهـا • واضطر الى أن قـال لشيخ الشيوخ صدر الدين ولوزيره الصاحب[٣] الأعز بن شكر : اذهبا واكشفا أمر هـذه الكنيسة وحديث هذا المسجد ، فتوجها والخلايق مجتمعون في الطرقات وعلى السقايف وعلى الأسطحة : وفي أيديهم الطوب • والشيخ والوزير يشقون فيهم ويردونهم إلى أن وصلا إلى الكنيسة ودخلا إليها فما وسع شيخ الشيوخ إلا أن فرش سجادته وكبر بتحية المسجد فما خرج منه إلا والكنيسة كلهـا في الأرض • ولو لم يفعلا ذلك كانا سيبعثان من تحت الردم ، فلما اطلع السلطان على ذلك وجد غبناً في نفسه وقهراً • فبعث للشيخ حسن وقد خرج من مصر للسفر • وإذا بالملك الكامل يرى تلك الليلة في المنام : كأن زبانيته احتاطوا به وقالوا له : كيف لم ترد[٤] الشيخ حسن وإلا أهلكناك • فبعث السلطان خلف

---

(١) جد المؤلف •

(٢) صناعة الشواني : نوع من السفن لها أبراج عالية ، مفردها الشيني أو الشونة•

(٣) الصاحب الأغر بـن شكر : راجع تكملـة الإكمـال للمحمودي المعروف بابـن الصابوني ص ٢٢١ يقول : دعمه الوزير الأعز أبو الفوارس مقدام بن أحمد ابن شكر ولد سنة ٥٦١ هـ ومات سنة ٦٢١ هـ •

(٤) لم ترده عن السفر •

وزيره الكبير صفي الدين بن شكر وقال : هؤلاء الطايفة أنت تعرفهم وهم يعرفونك • ما أعرف رجوع الشيخ حسن إلا منك • فخرج إليه الصاحب صفي الدين واسترضاه وسأله الرجوع فرجع • مات بدمياط سنة حوصرت في زمان الملك الكامل نفع الله به • وكان السلطان ليلة رأى المنام تمثل له الشيخ حسن في الرؤيا • فلما رجع طلب الاجتماع به • فقال الشيخ حسن : لا سبيل لذلك • فلج السلطان في طلبه • قال الشيخ قد رآني[1] فتذكر السلطان أنه رآه •

أبو عبد الله القرطبي :

ورأيت بها الشيخ الجليل أبا عبد الله القرطبي أجل أصحاب الشيخ القرشي رضي الله عنهم • كان كبير الشأن ، عظيم الحرمة بين الشيوخ والعلماء وعند الملك • وأخاه الملك العادل وعظمه الملك الكامل • وكان يمشي إلى زيارته • وكان أكثر إقامته بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وكان له بالنبي ﷺ وصلة وأخوه ورد سلام • وحمّله رسول الله ﷺ رسالة للملك الكامل• وتوجه بها الشيخ أبو عبد الله القرطبي إلى مصر ليؤديها[2] • ونزل في الرصد• وجاءه الملك الكامل وتصاغر له وعظم شأنه وسمع رسالته وقام بحكمها • وقضى جميع حاجات كان تقاضاها ودعا للمدينة ، ثم جاء إلى مكة ، وكان بها الشيخ ابن القسطلاني[3] مع أخوة من صحبة السيد القرشي • فجلس الشيخ الجليل أبو الحسن الواسطي وعرف بالنقاش وهو من أعيان أصحاب الشيخ الإمام شهاب الدين • قال : كنت جالساً مع الشيخ أبي عبد الله القرطبي والشيخ أبي العباس بن القسطلاني حين عَوْد عبد الله من مصر • فسأله أبو العباس عن أعيان المصريين واحداً واحداً ، وهو يجيبه بما علمه من أحوالهم • فقال له :

---

(١) اي الرسالة •
(٢) اي في المنام •
(٣) في الأصل دون مع •

كيف رأيت الصفي ابن أبي المنصور ؟ (عني)[1] فقال : ليوشك أن تقفز[2] البلاد فلا يبقى فيها سواه وجلست مرة معه في الجامع ، فأخذني وقام إلى جهة خالية وقال لي : لي معك كلام قلت له . نعم . قال لي : أنت عالم المدينـة . وفهمت من هذا الخطاب أن يكون به تنبؤ . ومن عادتي إذا قيل لي عن أمر يكون وقوعه بعد عشر سنين أن أشرع في أسبابه من حين أعلمت به . قلت له : هذا تعب . فقال : فكيف رأيك ؟ قلت : تتركه متى يأتي وقته يأتي حكمه . قال : ما أنا موحد أنا رجل سني . قلت له : فشد وسطك . وهذا الحديث لو كان مع شيخه كان عظيماً فجزاهم الله عنا خيراً . وشرح قوله ما أنا موحد . لما أشرت به عليه أن الموحد في أفعاله مسلوب الإرادة مستريح على القدرة ، لعامل مخرق[3] عاداتها . فاعترف بأنه يسلك فحسب أفعاله سبيل السنة بالسعي في الأسباب المرتبة . رضي الله عنه .

قال : رأيت مرة ثمانية يمشون[4] في الهواء منهم واحد يمشي بالأنعال[5] على الهواء كما يمشي بها[6] على الأرض . وعمل مرة في مكة طعاماً عم بـه سائر المجاورين إلا صوفية الأعاجم فلما فرغ اجتمعوا وجاؤوا إليـه طالبوه فاستغفر لهم . وعمل لهم وليمة . فلما فرغ قدم لهم طستاً غسلوا فيه أيديهم . فلما فرغوا جلس وشرب هو الطست جميعه .

الشيخ ابو العباس القسطلاني :

ومن رأيت بمصر الشيخ أبا العباس بن[7] القسطلاني أخص أصحاب

---

(١) المؤلف .
(٢) في الأصل تشد .
(٣) لعله يريد لعامل خارق للعادة .
(٤) في الأصل يمشوا .
(٥) أي النعال .
(٦) في الأصل يمشي بهم .
(٧) مرت ترجمته ص ٥٦ .

الشيخ القرشي ، زاهد مصر في وقته ، ترك زينة دنياه وخدم الشيخ القرشي بنفسه وانفاق ماله • وفي بيته كانت إقامة الشيخ القرشي • وكان أكثر أوقاته آخر عمره بمكة • وبها مات ، كثير الرياضيات فقال : إنه دخل مرة على النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ : أخذ الله بيديك يا أحمد • وجاورت[1] سنة بمكة • وكانت لي معه أوقات وفوايد وكان يكرمني فوق طوري ، لقيني مرة في الطواف فأخذني ودخل قبة الشراب • كانت بيده يختلي فيها بعض الأوقات • فقال : أريد أن أسألك مسألة[2] فقلت : يا سيدي لا تفعل • قل أريد أن أفيدك • قال: لا فسكتُ • قال : أيهما أعلى وأرجح عندك الأذن أم الأمر ، فعندما قال كشف لي عن الجواب ، سلكت معه طريق الأدب • قلت : يا سيدي ما أنا قدر هذا الحال وأنت غالط فيَّ قال : لا بد من الجواب • قلت : يا سيدي الاذن أعلى من الأمر فإن المأمور يتصرف بقوى الآمر كان أهلاً للتصرف أم لـم يكن ، وصاحب الإذن مستعد للتصرف متهيء له • وإنما الأذن له في إظهاره • قال الله سبحانه لعيسى مخبِراً له عما سبق لذاته من العطية الكلية • وإذ تخلق وتفعل كذا وكذا بإذني • فطرب لذلك وأخذ يعنفني على قولي أنت غالط فيَّ وهذا من مراحمهم وتنزلهم لناظرهم فجزاهم الله خيراً •

استسقى فمطروا :

وكان بالمدينة وقتاً فحصل لأهلها قحط لانقطاع المطر فعزم الناس علـى الاستسقاء • فتقرر أن أهل المدينة يستسقون يوماً والغرباء المجاورون يوماً • فاستسقى أهل المدينة فلم يمطروا • فعمل أبو العباس طعاماً كثيراً فأطعم الفقراء وأهل الضرورات واستسقى فمطروا •

الشيخ مرهف الضغطي :

وممن رأيت بمصر الشيخ الصالح مرهفاً الضغطي • كان من أعيان الشيخ

---

(١) الكلام للمؤلف •
(٢) في الأصل مسئلة •

القرشي ، يسمى (أبونا) لما كان فيه من الشفقة والخير واللطف • كنت أتردد له في مسجده الذي كان للشيخ القرشي فيه مدة • بزقاق الطباخ وكان الفقيه عبد العزيز العصار يجيء العشر الأخير من رمضان • وكنت أصلي معهم حينذاك وعمري عشر سنين • وكان أسمر اللون فقال القرشي عنه : هو أبيض القلب • وكان له سُنن بالتوحيد ، وقصائد •

الشيخ عوض البوشي :

وممن رأيت بمصر الشيخ الكبير عوضاً البوشي رضي الله عنه • كان عظيم الحرمة مشهوراً بالكرامة ، تزوره الملوك والكبراء والأمراء وأكابر العلماء رضي الله عنه •

الشيخ عبد الرحمن النويري :

ورأيت بمصر الشيخ الكبير عبد الرحمن النويري[1] • كان عظيم الشأن مستكثراً بالعلم كثير الكرامات • ما صحبه يوماً أحد إلا ورأى فيه منه كرامة، رآه مرة رجل مغربي كما جاء من المغرب فاختبل عقله ففهم الشيخ • فانفرد إليه وقال له : تكلم ما رأيت؟ فلم يستطع •فأخبر المغربي أنه يرى الشيخ عبدالرحمن النويري كل وقت عند الشيخ أبي محمد صالح ناسفي • من أقصى المغرب • وهذه الجملة التي ذكرتها تُغني عن التفصيل • أن ما صاحبه أحد إلا ويرى له كرامة • قال لي رجل من أهل بهنسة كان صحبه : قعدنا مرة حوله ، ذكرنا السماع فقلنا له : يا سيدي أنت ترى أن السماع حق • قال : نعم إذا كان مع

---

(١) عبد الرحمن النويري الفقيه : انظر طبقات المناوي ق/٢٣٧ ب ، هو العارف الكبير عظيم المجاهرة ، كان مقيماً بمصر وكان يغزو ، حضر الجهاد بدمياط لما دخلها الفرنج فاستشهد بأيديهم ، ذكر عنه المناوي ما أورده المؤلف صفي الدين إلى أن قال : فأسلم النصراني • وصار يسمي الشيخ بعد ذلك الشهيد الناطق• وسيعود الناسخ لذكره في آخر الكتاب •

أهله • قلنا له يا سيدي أما أنت من أهله ؟ قال : نعم قلنا : فنريد أن نسمعه معك فأذن باحضار شخص ينشد • فزمزم بين يديه فرأ ينالونه تغير ، ثم قال : يشتهي كل منكم شهوة • فمنا من اشتهى عسلاً ومنا من اشتهى لبناً وغير ذلك وكان وراء ظهره خزانة فصار يمد يده للخزانة ويخرج لكل واحد ما اشتهاه • هذا آخر الحكاية التي[1] ذكرها الشخص الذاكر لها، وبيان هذه الحكاية : أن الشيخ لما وردت عليه حالته التي تغير بها لونه أظهر وجودها بإظهار أثرها فيه ، وهو إخراج ما طلبوه من الكون الغيبي • لما لم يكن لهم إدراك ما ورد عليه أظهر لهم أثره فيما يناسبهم •

أبو الحسن الدقاق :

ومن رأيته الشيخ العارف بمصر أبو الحسن بن الدقاق • كان من أهل مراكش من بلاد المغرب • كان عظيم الشأن • كان أولاً ينسب وهو شاب للشيخ الكبير أبي محمد صالح من أصحاب سيدي الإمام أبي مدين شعيب رضي الله عنه • فدخل الشام فصحب فيها الشيخ العظيم أبا عبد الله محمد الأزهري العجمي ، وأراه عظاماً[2] ، وحكايات تضيق عنها العقول والأفهام •

الشيخ محمد الأزهري العجمي :

فمن حكاياته عنه أنه قال : أدخلني الشيخ محمد العجمي ثلاثمائة وستين عالماً غير عالم السموات والأرض فقال : كان للشيخ محمد أصحاب كلهم أرباب كرامات وعلوم • فمما أخبر عنه أنه قال : وصل به إلى جبل قآف وأراه الحية الدايرة بالجبل خضراء ورأسها على ذنبها دائرة بالجبل • وقال كان الشيخ إذا مشى بي إلى أمر خارق أو وطىء أرضاً[3] أبقى معه غائباً عن حسي المعهود •

---

(١) في الأصل : الذي •

(٢) لعله يقصد أموراً عظاماً •

(٣) في روض الرياحين (أو طي الأرض) •

أمام قبر سليمان :

فخرج يوماً من دمشق وأخذنا صحبته إلى أن وصلنا طبرية . ووقفنا على قبر سليمان . قلت : يا سيدي ! هذا قبر سليمان ؟ قال : هكذا يقال . ثم مشى وأنا خلفه ، محمول به . إلى أن وصلنا وأشرفنا على بناء مهول . وإذا بأقوام يلقون[1] الشيخ ويسلمون عليه . وتبركوا بقدومه ثم مشوا قدامه فوجدت منهم وحشة . فالتفت الشيخ إليّ وقال : يا علي احفظ نفسك واشتغل بي ولا تشتغل بمن تراه . فهؤلاء جان ، ونحن قادمون على سليمان ابن داود نبي الله . فلما وصل للبنيان تلقته طائفة أخرى . وأدخلوه البناء وهو[2] بصورة قصر عظيم . والشيخ يمشي وأنا خلفه ، وإذا في صدر المكان رجل قائم ، عليه هيبة عظيمة ونور عظيم ، وفي يده عصاه ، وهو مايل على ظهره . قال لي الشيخ هذا سليمان . فتقدم الشيخ وقبل يده وفي أحد أصابعه الخاتم، ثم تأخر الشيخ. فأخذه جماعة من الجن خدام سليمان وذهبوا به إلى أن أجلسوه في موضع. وقدموا له ضيافة فأكل الشيخ وأكلت معه . ثم ذهبوا به ليفرجوه[3] على ذخائر سليمان فأتوا به للبساط ، فوقف عنده ، فجاءت ريح ففرشته حتى رآه ثم جاؤوا به لعرش بلقيس . فرآه إلى أن استكمل جميع ذخائر سليمان ثم عبر على مغارة فيها دوي مزعج ورائحة منكرة ، قالوا له : يا سيدي هذا سجن ابن ابليس مسجون في هذه المغارة من زمن نبي الله سليمان فلما أراد الشيخ الانصراف وضعوا له سريراً . وأشار الشيخ إلي فوضعوا إلي سريراً آخر . فلما جلسنا نحسسهما[4] ارتفعا لا نعرف من يحملهما وسارا بنا في الهواء[5] على ظهر بحر إلى أن وصلنا إلى دمشق فحطوا بنا الأرض فنزل الشيخ من سريره ونزلت الى

---

(١) في الأصل يلقوا ويسلموا .
(٢) ليست موجودة في الأصل .
(٣) يقصد يطلعونه .
(٤) في الأصل نحسهم وارتفعوا وساروا .
(٥) في الأصل الهوى .

الأرض • وارتفعت الأسرة وعادت • ومشى الشيخ وأنا خلفه ساعة • وإذا بدمشق قد ظهرت • ومثل هذه وأعجب منها كثير •

يأتي برطب الحجاز :

وقال : كنا يوماً بدمشق • وكان في أصحاب الشيخ من هو في الحجاز ومن هو في العراق ، فذكروا الرُطب فقال أهل الحجاز رُطبنا أطيب وكان للشيخ خادم اسمه يوسف نظر الشيخ إليه فخرج الخادم من باب المكان ، غاب لحظة ثم داخل وعلى يده طبق فيه رُطب كأنه[1] جُني من على النخل • فوضعه بين يدي الشيخ • قال الشيخ : يا حجازي هذا رطب بلادنا • أحضروا أنتم رُطب بلادكم ، ومثل هذا كثير •

ومن العلوم ما لا يُسطر في الكتب المعهودة • وكان هذا الشيخ العجمي في علومه يعظم النبي ﷺ تعظيماً لم يُعهد مثله عن شهادات وكشوف علوية • وعلوم لدنيّة•وكان الشيخ أبو الحسن على ذلك ودخل ديار مصر مجرداً وسكن بدهروت • ونشأت[2] له دائرة متسعة وأولاد صلحاء نجباء • وأصحاب في مواضع متعددة • وكان يتردد إليّ وأقام عندي مرة ستة أشهر وعمل فيها خلوة أيام لم يستطعم شيئاً وورد عليه فيها علوم هائلة • وكان وافر العقل حسن الصورة عظيم الهيئة ، حسن الخلق • وحصلت بيني وبينه مصاهرة • وكان سيدي الأستاذ يثبته ويعظمه رضي الله عنهم أجمعين •

لا يطول لـه ظفر ولا شعر :

قال الشيخ أبو الحسن : كان الشيخ محمد العجمي إذا كان في السياحات

---

(١) في الأصل كما •
(٢) في الأصل نشأ •

لا يطول له ظفر ولا شعر ولا يُحدث حدثاً يحتاج إلى طهارة ، فإذا دخل البلاد العامرة أجرى عليه ما يجري على الناس من ذلك .

الشيخ أبو حفص عمر الحبال :

ومن رأيت في مصر الشيخ أبو حفص عمر الحبال[1] من أعيان أصحاب الشيخ الإمام القطب أبي مدين رضي الله عنه . غلب عليه حال مرة . فخرج من المكان الذي كان فيه البرية بعد أن فصد يديه وذراعيه الاثنين وخرج والدم يخرج منهما فاراً إلى الله سبحانه . لشوق غلب عليه قاصداً إتلاف نفسه فلم يزل إلى فلاة سقط فيها . وإذا برجل من المكاشفين رأى قبة خضراء ، ونوراً منصوباً في الفضاء تسع مكان القبة ، إلى أن وصل إليها ، وجد الشيخ منطرحاً تحت تلك القبة المنصوبة . فأخذه وربط ذراعيه ولاطفه إلى أن عاد إلى حسه. ولما سافر من مصر طالباً للصعيد يريد الحج . كان في مركب كبير من أكبر المراكب في النيل ، وانقلب المركب فغرق . ونال كل من كان فيه ما قسم له من سلامة وغرق . فعرفوا[2] الشيخ عمر الحبال فغطسوا عليه فرفعوه من قعر البحر جالساً متربعاً كما كان قبل الغرق لم يتحرك منه عضو ولا خرج عن صورته استسلاماً لله وفناء بين يديه .

الشيخ أبو الحجاج المغاور :

ومن اجتمعت به في مصر والصعيد الجماعة الأكابر أصحاب سيدنا الإمام القطب أبي الحسن بن الصباغ رضي الله عنه وعنهم أجمعين. الشيخ الوحيد الجليل الفريد أبو الحجاج يوسف المغاور رضي الله عنه . كان من أهل قرطبة صحب

---

(١) أبو حفص عمر الحبال ، لعله النسابة المعروف بابن الربيب ولد سنة ٥٨٧ هـ بالموصل وتوفي بالقاهرة سنة ٦٤٨ هـ ودفن بالقرافة . تكملة إكمال الكمال ص ١٨١ .

(٢) في الأصل فعدموا .

جماعة من صلحاء الأندلس (اشبيلية) وغيرها • وكان منهم الشيخ الغزال[١] • قال لي الشيخ المغاور[٢] كان الشيخ الغزال يقول لي يايوسف ما أنت لي ! أنت لرجل تلقاه في آخر عمرك بالمشرق • يعني ديار مصر • قال لي الشيخ المغاور : ما في الأرض موضع إلا وطئته هذه الرِجْل وأشار إلى رِجْلِهِ بالسياحة والخطوة • ورأيت من الرجال كثيراً ، وما رأيت من ظهر على ظاهره علم التوحيد الأكبري ، يقوم ببواطن الموحدين ، غيرَه • كان ظاهره لا تؤثر فيه الحوادث شيئاً لا الحر والبرد ولا الجوع ولا الشبع ، ولا الشتم ولا المدح ولا الذم • أقام في أسوان في أخذة أخذها أربعين يوماً • ملفوف في كساء لم يتحرك منه عضو حركة واحدة • فسألته عن باطن حاله في هذه الأخذة • كيف كان ؟ قال : كنت فيها بين المحمدية والموسوية • يعني الرؤيا والمكالمة يتعاقبان عليه • ولما اجتمع بالشيخ أبي الحسن بن الصباغ في آخر عمره وكان نحواً من ثمانين سنة • أوى إليه واستراح عليه وأطلعه على جميع أحواله فعظمه الشيخ وشهد له أنه من السبعة الأوتاد • وأخذ عنده أخذتين : أخذة سبعة عشرة يوماً والأخرى خمسة عشر يوماً • وقال الشيخ لأصحابه عنه هذا المغاور أطلعه الله على علمي • وهذه شهادة عظيمة بأن علم الرجل هو غاية سره مع الله عز وجل سبحانه •

في بلاد الكفـار :

ومما حدثني به قال : كنت سنين مغاوراً[٣] للحرب وسنين للسياحة أدخل إلى بلاد الكفار والأمور[٤] • وأ ٔ مر بالدخول إلى بلادهم لأجلها وحجابي

---

(١) الشيخ الغزال أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الغزال كان أكبر تلاميذة ابن العريف جاء ذكره عَرَضاً في كتاب التشوف إلى رجال التصوف ص ٩٧ ــ ٩٩ ــ ١٠٠ ، وذكره ابن عربي في الفتوحات ٣/٣٨٥ •

(٢) أبو الحجاج يوسف بن سليمان انظر التشوف الى رجال التصوف ١٩٨ ــ ٢٨٦ ــ ٣٦٤ ــ ٣٦٦ ــ ٣٨٣ ــ ٣٩٠ •

(٣) لعلها من الإغارة •

(٤) لعلها الثغور •

تحكمني • إن أرادت نفسي رأوني وإن أرادت أن لا يروني ما يروني • فورد علي أمر حق من جهة الحق سبحانه بأن أدخل إلى بلاد الكفر لأجتمع فيها برجل صديق • فدخلت لأرضهم وأريتهم نفسي فأخذوني أسيراً • وفرح بي من أخذني وكتفني وجاء بي إلى السوق ليبيعني • وكان هذا هو الطريق المقصود الذي أمرت به • فاشتراني شخص راكب دابة ، معتبر ووقفني على الكنيسة لأكون فيها خادماً • فباشرت خدمتها أياماً • وإذا بهم قد أحضروا بسطاً كثيرة ومباخر وطيباً كثيراً • قلت لهم : ما الخبر ؟ قالوا : الملك عادته زيارة الكنيسة يوماً في السنة • وقد جاء وقت الزيارة فنحن نهيؤها له ، ونخليها له ، لا نبقي فيها أحداً يدخل وحده ، يتعبد فيها • فلما أغلقوها بقيت أنا فيها ، وانحجبت عنهم فلم يروني • وإذا بالملك قد جاء ففتحوها له ودخلها وحده وأغلق عليه الباب • فدار بالكنيسة يفتشها وأنا أنظره وهو لا يراني إلى أن اطمأن فدخل المذبح الذي فيها وتوجه للقبلة وكبر للصلاة • فقيل لي : هذا الذي أردنا لك الاجتماع به • فظهرت ووقفت وراءه حتى سلم من الصلاة والتفت ورآني • قال : ما تكون ؟ قلت : مسلم مثلك • قال : وما جاء بك إلى ها هنا؟ قلت له : أنت • فأقبل علي وسألني عن أمري فأخبرته عما أمرت به من الاجتماع به • ولم يكن الطريق إلا بصورة ما جرى من هذه الصورة • وتمكينهم مني واتخاذهم لي خادماً للكنيسة ليقع الاجتماع • فسر وكاشفني وكاشفته فوجدته من كبار الصديقين • فقلت له : كيف حالك ؟ بين هؤلاء الكفار ؟ وأنت على ما أنت عليه في باطن الحال قال : يا أبا الحجاج لي فوائد بينهم لا أبلغ مثلها لو كنت بين المسلمين • قلت له : صف • قال : توحيدي وإسلامي وأعمالي خالصة لله وحده ، ما لأحد عليه اطلاع • وآكل حلالاً فيئاً ما فيه شبهة وأنفع المسلمين نفعاً لو كنت أكبر ملوكهم ما بلغته من الدفع عنهم وكف أذية الكفار • حتى لا يصل إليهم • وأفعل فيهم من القتل والإفساد لأحوالهم ما لو كنت أعظم ملوك المسلمين ما بلغته • وسأريك بعض تصرفاتي فيهم، ثم ودعني وودعته، وقال لي : ارجع إلى حالتك • فأخفيت نفسي وحجبت من يراني • فخرج الملك وقعد على باب الكنيسة

وقال : ايتوني بمن يختص بالكنيسة فأحضروا له جماعة وعرضوهم عليه وقالوا: هذا بطريقها وهذا شماسها وهذا راهبها وهذا مشرف أوقافها ، وهـذا جابي رباعها . قال : فمن يخدمها قالوا له : فلان يعنو به الذي وقفني على الكنيسة اشترى أسيراً وقَفَه على خدمتها ، فأظهر غضباً عظيماً وقال : تكبرتم جميعاً على خدمة بيت الرب ، وجعلتم رجلاً من غير الملة نحساً يخـدم بيت الرب ؟ فضرب رقاب الجميع في حجة الغيرة على بيت الرب وأمر بإحضاري فظهرت لهم فقدموني فقال : هذا خادم الكنيسة الذي تنزل لها في مقابلة كبر هؤلاء عنهـا الاكرام والتعظيم والخلع والمركوب ، وإطلاقه لوطنه وأهله . ففعل ذلـك . وانصرفت عنه .

ظهور حكم الشرع في القرود :

قال لي : كنت في السياحة فوصلت إلى جزيرة في البحر كل من فيها قرود ليس فيها غيرهم . فمشيت يوماً بينهم وإذا أنا أرى قردة جالسة وعلى وركها قرد راقد[1] ورأسه على وركها تفلي فيه . وإذا بقرد آخر قد جاء إليها من بعيد، وأشار إليها ، وضعت رأس القرد من على وركها وراحت إليه فواقعها ، ثـم عادت إلى مكانها ووضعت رأس القرد على فخذها كما كان . فلما أفاق شم رائحة أثر مواقعة ذلك القرد . فانتفخ وصرخ والقرود تسمع صراخه فتجمعوا وهو يصرخ إلى أن اجتمعوا إليها ورجموها إلى أن ماتت . فتعجبت من ظهور حكم الشرع حتى في القرود إلهاماً من الله سبحانه .

رأوه حجراً :

وقال لي : كنت في السياحة بالأرض الطويلة يعني أرض القنش بالمغرب. فأجد عبد الله المغاور الذي كان بثغر الاسكندرية . فسلمت عليه وسلم علي ثم قال : يا أبا الحجاج . حدثت[2] لي في هذا المكان حكاية . قلت له : قل . قال:

---

(١) في الأصل راكد .
(٢) في الأصل حدث .

كنت مرة في هذه الفلاة وإذا بسرية من سرايا الروم أقبلت ، فأيست من الحياة. فتوجهت إلى القبلة وأحرمت بالصلاة لعلي إن قتلوني أُقتل وأنا في الصلاة . فلما وصلوا إلي رأوني حجراً فأسندوا رماحهم على رأسي . وقال بعضهم لبعض نحن نتعاهد في هذا المكان وما رأينا فيه الحجر . ووقفوا ساعة ثم أخذوا رماحهم ومضوا . قال : فقلت له : يا أخي عبد الله ! كنت في بدايتك تحسن الظن بالحجارة قال : نعم كنت أخرج للسياحة ، وعندي تشوف وطهارة وحسن نية. وكنت أرى أحجاراً يقع لي أنها أولياء وأنها حجبت عني بأن مثلت أحجاراً. وكنت أبكي وأقبلها وأتوسل إلى الله سبحانه وتعالى بها . قلت له : نفعك الله بحسن ظنك بها . جعلك حجراً لنجاتك وتصديقاً لظاهر الخبر : لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله به[1] .

يمضي إلى مكة :

وقال لي كنت مرة بمصر فورد علي أمر من الحق سبحانه بأن أمضي[2] إلى مكة لألتقي فيها علَماً يرد علي حين أدخلها . فتوجهت وعلي كساء ملفوف فيه معقود في صدري ، وفي يدي ابريق وفي رجلي قبقاب . وكان في غير أشهر الحج . أطلع جبلاً وأنزل وادياً . وحدي ليلاً ونهاراً إلى أن وصلت مكة . دخلت الحرم من باب بني شيبة . ورد علي العَلَم الذي حُرِّكْتُ لأجله ، قبّلته واستكلمته وخرجت على الفور من باب إبراهيم . فعدت للبرية ورجعت فيها إلى ديار مصر على الحالة التي مضيت عليها .

لا يرى إلا الجمال :

وأقام مدة إقامته في رباط الشيخ أبي الحسن بقنا[3] نحواً من اثنتي[4]

(١) قال ابن تيمية كذب . ونحوه قول الحافظ بن حجر : لا أصل له . راجع كشف الخفاء ٢/١٥٣ والمقاصد للسخاوي ص ٣٤١ .
(٢) في الأصل امض .
(٣) قِنا : مدينة بالصعيد بينها وبين قوص يوم واحد معجم البلدان ٤/٣٩٩ .
(٤) في الأصل اثني عشر .

عشرة سنة . على الاستقامة العامة والقيام بواجبات المعاملات . فاسمع من لسانه ذكر الله ظاهراً فقط . لغلبة حضوره ودوام استمرار وجده . وكل من رآه ذكر الله . وإذا حضر الفقراء والمعتبرون اخوانه حوله يتذاكرون على قدر أحوالهم فيذهب أحد منهم إلى ذكر حالٍ يفوقه يقول له الشيخ : المغاور : ارجع للحضرة إلى أين[1] . ثم إذا ذكر أحد عيباً لأحد أو نقصاً من تقايص الوجود بين يديه يقول : جمّل يا رجل جمّل فلا يُرى إلا الجمال . وكان يوماً في زاويته وقد مر عليه شاب مزمزم[2] فوجد الشيخ المغاور فقال له : قف ، وقل . وكان الشاب أحد خدام المطبخ فقال له : أنا مشغول ومضى . فانقطع صوته للوقت وانبح وصار إذا أراد الكلام لا يقدر . فمضى للشيخ أبي الحسن وشكا حالته له فقال له الشيخ : ارجع وقف عند زاوية المغاور وقل ما كان أمرك بقوله . قال : يا سيدي كيف أقول وأنا على هذا الحال ؟ قال له : رح . فمضى الشاب ووقف على باب زاوية المغاور وعزم على القول فانطلق . فخرج المغاور من زاويته وتحرك فوجده ساعة ثم سكن .

الشيخ أبو يحيى بن شافع :

ومنهم الشيخ الجليل الكبير العارف ، أبو يحيى بن شافع . كان شاباً بيّاعاً في قنا . من أقارب أكابرها . خطر له خاطر الإرادة ، وصحبة الشيخ الإمام أبي الحسن[3] . فدخل الطريق دخولاً عظيماً ، واشتغل به اشتغالاً كبيراً . فأدخله الشيخ الخلوة دخولاً شديداً ، وآلى على نفسه بالعهد ألا يبرح بالعزم إلا أن يبلغ ما بلغ الرجال . ففتح عليه فتحاً شريفاً أثبته له الشيخ وفوّه

---

(١) الأين : مكان .
(٢) جمع أطراف ثوبه .
(٣) أبو يحيى بن شافع : لعله أحمد بن صالح الملقب بابن شافع . راجع تكملة « اكمال الكمال » ص ٤٠١ .
(٤) ابن الصباغ .

به • وأشار بأنه من أولي العزم • وكان مستمراً على أكبر الأصحاب بفضله وبما يظهر عنه من فضل الله عليه من المكاشفات والمعاملات ، وحسن التأثيرات•

كان بائعـــاً :

ذكر عنه الشيخ أبو الحسن بن الدقاق قال : دخلت قِنا[1] صحبة الشيخ العجمي ، فيمَّن بي في السوق • وإذا بشاب في دكان بيع • فقال لي الشيخ العجمي : ياعلي هذا الشاب يصحب الشيخ أبا الحسن بن الصباغ ويرث مقامه• وكان الشاب أبا يحيى بن شافع • فبعد ذلك صحب الشيخ وظهر عنه صحة ماقال العجمي وزوجه[2] الشيخ أبو الحسن ابنته•وظهر بعد وفاة الشيخ ظهوراً كبيراً واستجاب له خلق كثير وانتفعوا به • وبني له في البلاد ربط كثيرة في كل رباط طائفة من أصحابه • فكان للشيخ أبي الحسن بن الصباغ ولد صالح نجيب ، انتقل للشيخ وهو صغير فتربى بين كبار أصحاب والده تربية مباركة • وكانت والدته ابنة الشيخ عبد الرحيم[3] المعظم الكبير • فلما كبر هذا الولد عظمه الفقراء ، وقصدوا منه أن يجلس على سجادة والده الشيخ ، ويجتمعوا عليه فامتنع من ذلك لصلاحه وطهارته وبراءته من حظ نفسه • وتوجه للشيخ أبي يحيى بن شافع صهره وصاحب أبيه • وسلم له نفسه • وقال له : احكم فيَّ كما حكّمتَ والدي في نفسك وأوصلني إلى ما أوصلك والدي إليه • فأدخله الشيخ ابن شافع الخلوة ورباه فيها ، بما رباه والده • وفتح عليه بما طلب وبقي كذلك إلى أن مات • ما رأينا في[4] مدة سبعين سنة ابن شيخ مثل زين الدين ابن الشيخ أبي الحسن هذا المذكور • نفع الله به • وكان فتحه وتربيته من جملة كرامات الشيخ ابن شافع رضي الله عنه •

---

(١) قِنا : مدينة بالصعيد بينها وبين قوص يوم واحد معجم البلدان ٤/٣٩٩ •

(٢) في الأصل : أزوجه •

(٣) الشيخ عبد الرحيم هو القناوي مر ذكره ص ٥٩ •

(٤) الكلام للمؤلف •

الشيخ علم الدين المنفلوطي :

ومنهم الشيخ القدوة علم الدين المنفلوطي • كان من أكابر منفلوط • صحب الشيخ أبا الحسن صحبة هنية حسنة • لم يتعب الشيخ في تربيته • كما ظهر من اجتهاده في غيره وقال عنه : نفسه زكية ، وخرج عن ديْن له • وأدخله الشيخ الخلوة وفتح عليه بمخاطبات وشهادات ومحادثات من الملك ووضع في ذلك مصنفاً، واذن الشيخ أبو الحسن بقراءته • وظهر بعد الشيخ ظهوراً معتدلاً • واهتدى على يده جماعة مباركة • وكان له رُبُط ، فيها من ينتسب إليه • وكان له رباط في بلدة من بلاد الصعيد يقال له طحطا[1] وفيه جماعة من أصحاب صلحاء • وكان في منفلوط[2] بلده أيضاً • وبقي هو في رباط الشيخ بعده إلى أن مات • وكان يطبب الشيخ في مرضه بالمخاطبات ترد عليه في حق الشيخ والشيخ يقبل ذلك عنه إلى يوم قال له : يا ولدي ! يا علم الدين ! استرح[3] بمداواتي ، فقد قيل لي : ابتليناك بالفقر فلم تشكه ، وأسبغنا عليك النعيم فلم يشغلك عنا ، ولم يبق إلا مقام الابتلاء ، لتكون حجة على أهل البلاء • رضي الله عنه •

الشيخ يعقوب المغربي :

ومنهم الشيخ الولي يعقوب المغربي ينعت بأبي يوسف كان من أكابر العارفين ، شهد له الشيخ أبو الحسن أنه من الذين أشار إليهم النبي ﷺ • بقوله : علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل[4] • قال الشيخ يعقوب منهم • صحب

---

(١) طحطا : بالفتح والقصر كورة بمصر شمالي الصعيد غربي النيل ، مراصد الاطلاع ٢/٨٨٠ •

(٢) منفلوط بلدة بالصعيد في غربي النيل بينها وبين شاطىء النيل بعد • معجم البلدان ٥/٢١٤ •

(٣) في الأصل استريح •

(٤) قال السيوطي : في الدرر : لا أصل له ، وفي المقاصد قال ابن حجر : لا أصل له • وزاد بعضهم ولا يعرف في كتاب معتبر • راجع كشف الخفاء ٢/٦٤ والمقاصد ص ٢٨٦ •

الشيخ صحبة عظيمة وله مجاهدات كلية شافية • وأدخل خلوات عدة ليوصله فيها إلى ما علم له • إلى آخر خلوة دخل عليه فوجده قد فتح عليه بما كان يطلبه له • فخرج الشيخ من عنده من خلوته مسروراً فتشوفت نفوس الفقراء للعلم بأمره • فقال له : ما بقي يعقوب يقول بعد اليوم وأيوب • يعني أنه قد استغنى فلا يشكو بعد اليوم فقراً لكمال ما فتح به عليه • وكان من جملة فتوحاته كشف الملكوت وشهود تنوعات تجليات الأسماء والصفات • وكان كثير الاستقامة عزيز الوجود • مات بمصر ودفن في القرافة رضي الله عنه •

الشيخ أبو اسحاق الكندي :

ومنهم الشيخ الولي العارف أبو اسحق الكندي • كان فقيهاً حاكماً بالمغرب فجاء لديار مصر فلما عبر على الشيخ أبي الحسن انقاد إليه وصحبه وأدخله الخلوة وفتح عليه • ثم عاد للمغرب وظهر فيه وتفرد • وما كان بقي في المغرب فقيه مثله إلا قليل • وانتسب إليه جماعة •

الشيخ رفاعة القفوي :

ومنهم الشيخ الإمام العارف رفاعة[1] من أهل قِنا صحب الشيخ صحبة عزيزة وأدخله الخلوة • وفتح عليه • وشهد له الشيخ بأنه بسطامي السلوك ترمذي الحكمة • وكان الغالب عليه التجريد ، وملاحظات التوحيد • له أحوال سنية وكرامات جلية رضي الله عنه •

---

(١) رفاعة من أهل قِنا • راجع طبقات المناوي ق/٢٢٤ • من أصحاب الشيخ أبي الحسن بن الصباغ • كان مشهوراً بالصلاح • قال الوحيد القوصي • حكى له الشيخ أبو الطاهر أن أبا الحسن بن الصباغ تحدث مع والي قوص أن يعزل والي قِنا فامتنع • وكان رفاعة هذا حاضراً • قال فقال يا سيدي أقول ؟ قال : لا • ثم خرج • وكان توجه إلى الوالي بذلك السبب ، فلما أجمع الفقراء بعد خروجه ، قالوا لرفاعة : ما كنت تريد أن تقول ؟ قال : إن الوالي لما رد كلام الشيخ عزل في ساعة ، فكان كذلك مات في القرن السابع ودفن في الأعمال القوصية •

الشيخ أبو القاسم الأندلسي :

ومنهم الشيخ الإمام العارف أبو القاسم[1] الأندلسي • عبر على قِنـا ليحج فلما رأى الشيخ أبا الحسن تركه[2] وصحب الشيخ صحبة عزيزة•وحين عقد عقْدَ الصحبة سلم له الشيخ طورية وأمره أن يخـدم بستان رباطه • فباشر خدمة البستان ، وفتح عليه فيه من غير خلوات ولا كبير معاملات وانتهى به الفتح للأخذ • فأخذ عن المعهود من عقله الظاهر فعجز عن القيام بظاهر العلم، مع غلبة الحال • فكان يترك الصلاة ويفطر في رمضان والشيخ يجمله ويعذره لما يعلم من غلبة ما غلب عليه • وكان إذا ورد الوارد عليه يتكلم بلسان غريب لا يفهمه إلا الشيخ • فسئل الشيخ عن لسانه فقال : هذا اللسان الذي يتكلم به له ألف سنةٍ ما تـكلم به فالحظ رحمك الله بسطة تصرفات الشيخ وسعـة ما أحاط به من المعارف وكمال التربية • ومما جرى لهذا الشيخ أبي القاسم أنه واقف يوماً على سطح الرباط ورفع صوته وقال : لا إله إلا[3] أنا رددهما مراراً • فمضى الخادم للشيخ في الدار وأخبره بما قـال أبو القاسم فسكت الشيخ عنهم • فبعد أيام كان عندهم في الرباط رجل من المشرق ضيف وقف على سطح الرباط وقال كما قال الشيخ أبو القاسم • فمضى الخادم للشيـخ وأخبره بما قال الآخر • فأمر الشيخ الخادم بأن يخدم أبا القاسم والفقير الآخر الذي قال مثل قوله في زاوية ويمنع عنهما الطعام والشراب ففعل الخـادم • فخرج أبو القاسم من الحايط من غير باب وبقي الآخر إلى أن أسلم الروح ومات • فأخرج وكان أبو القاسم يخدم البستان ، فمضى يوماً بدابـة يريد يعدي[4] البحر يحمل عليها[5] شيئاً من مصالح البستان علم يجد المعدّية ، فالتقى البران له ليمشي عليهما فامتنع إلى أن جاءت المعدية فَعَدّى •

---

(١) في الأصل أبو القسم •

(٢) أي ترك الحج •

(٣) نستغفر الله العظيم لنا وله ؟!•

(٤) يجتاز •

(٥) أي الدابة •

هذه[1] أخبار من رآه .

هي أصدق منك :

وكان يسقي البستان ، فيتحدث مع الشجر بأجوبة لحديثها معه . وكان من مد يده من الفقراء إلى شجرة يأخذ منها شيئاً في غيبة أبي القاسم يجيء إليه الرباط ويخاصمه ويقول له : لم أخذت وتعديت إليّ من الشجرة الفلانية كذا وكذا فينكر الفقير فيقول له : هي أصدق منك فكان دايماً على هذا .

يلقنـه حركات الصلاة :

وكان الشيخ يأخذه حين أخْذَته ، ويجلسه بين يديه ، فيقول له : صلّ . فينبهت الشيخ بهتة من لا يقدر على فعل ما أمره . فيضربه بالمروحة ويلقنـه حركات الصلاة حركة حركة . وكلما فعل حركة تصور الشيخ فيها ، وحكايته للشيخ تبهت : ويتلقف من الشيخ ما يكلفه به والشيخ يقنع منه بذلك ثم صحا بعد ذلك وصلى وصام . ولما قربت وفاة الشيخ في مرضه أصبح أبو القاسم وقال للفقراء : مات الشيخ البارحة قد انتقل . وكان الشيخ بعد لم ينتقل . فقالوا له : يا خونا[2] ! الشيخ حي باق في بيته ، وها نحن كنا عنده . قال لهم: انتقل سره البارحة لرجل بالمشرق وهذه نقلته الحقيقية وبقي على بشريته أنفاس يستو فيها . وكان بعد ذلك بيومين ، انتقل الشيخ . وكان أعيان الشيـخ يذكرون[3] خصوصية فتحه ومعاريجه واطلاعاته كثيراً، نفع الله بهم ورضي عنه.

الشيخ يونس :

وكان منهم في أول جلوس الشيخ للتربية رجل[4] يقال لـه : يونس هو

---

(١) في الأصل هذا .
(٢) أي يا أخانا .
(٣) في الأصل يذكروا .
(٤) في الأصل رجلا .

أول من فتح عليه عند الشيخ • حتى كان الفقراء يقولون هو بِكْرُ الشيخ فتح عليه فتحاً غزيراً • وكان الشيخ ينوه به وكان كثير الرؤية للخضر عليه السلام فسئل الشيخ عنه فأثبت له صحة رؤيته له • فقالوا له : يا سيدي هذا صاحبك أثبتَّ له رؤية الخضر أنت يا سيدي ما تراه ؟ قال : نعم مرات وعلى الستِ كرّات رضي الله عنهم أجمعين •

أبو القاسم المراغي :

ومنهم الشيخ الصالح الولي أبو القاسم المراغي من بلاد أخميم[1] ، صحب الشيخ صغيراً ، وعنده بلغ الحلم[2] ، وكان من صغره صالحاً كثير المجاهدات ، والمعاملات سهلة عليه • خرج عن دنيا متسعة عن أبيه وجده من أبقار وغيرها • وأدخله الشيخ الخلوة ، وفتح عليه وكان له مخاطبة أثبتها الشيخ له • واستمرت به إلى آخر عمره ، وانقاد للشيخ جميع أهله وكانوا بيتاً كبيراً مباركين ، كلهم يحفظون القرآن وصحبوا الشيخ • وبنى له رباطاً بالمرابغ كان فيه وقفاً بعد موت الشيخ ولم يزل في صحبة الشيخ إلى أن انتقل • سافر للحجاز على التجريد وجرى له مجريات الرجال • وكان الشيخ يقدمه في بعض الأوقات للصلاة وللدعاء ، ووسع عليه، ورزق أولاداً صلحاء أتقياء • وانقرضت دايرة الشيخ أبي الحسن إلى أن لم يبق منها سواه • وكان الشيخ المغاور نسج بيني وبينه مودة قبل أن أراه ، حرّكته إلى أن جاء إلى مصر بإشارة المغاور ،

---

(١) أخميم بلد بصعيد مصر على شاطىء النيل ، في غربية جبل من أصغى إليه باذنه سمع خرير الماء ولفظاً شبيهاً لكلام الآدمي • ولا يدري أحد ما هو • راجع مراصد الاطلاع ١/٤٣ •

(٢) أي أبو القاسم المراغي : وسمي بأبي القاسم الصغير لصغر سنه تمييزاً له من أبي القاسم الكبير ، وهو أبو الحسن بن النعمه علي بن عبد الله خلف الأنصاري الأندلسي المري البلنسي أحد الأعلام ، قصد بلنسية لإقراء القراءات والفقه والحديث والنحو ، صنف كتاباً كبيراً في شرح سنن النسائي سنة ٥٦٧ هـ شذرات الذهب ٤/٢٢٣ •

واجتمع بي ووقع بيننا إخاء ، أقمنا فيه سنين تزيد على أربعين سنة . وكان لي منه ود وبركة . وأخبر بمخاطبات سمعها في حقي منها : أنه قال . قيل لي عن أخي الصفي ألبسته الرداء ؟ قلت فما هذا الرداء ؟ قيل لي هو في معنى قولنا عن إبراهيم : إنه كان بي حفياً . ومن ذلك أنه قال : بمحضر جمع كنت أقرأ في الليل فأخذت عن القراءة ومثل لي أخي الصفي، ثم مثل لي رجل فقيه يقال له القرافي كان ينكر على أخي الصفي ثم [1] وهو معروف بذلك . فلما مثلا بي سمعت خطاباً يعني به الصفي : « أولئك الذين أتيناهم الكتاب والحكمَ والنبوة » . وأشار الخطاب لأخي الصفي بهذا الوصف ثم أشار للمنكر : « فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين »[2] وقال مرة أخرى : سمعت خطاباً في حق أخي الصفي من الحق يقول : مشى في بحبوحة الحضرة . وقال مرة أخرى : قيل لي عن أخي الصفي : هو أحد الستة بل هو أكبرهم . وكانوا أصحاب الشيخ أبي الحسن وسموه أبا القاسم الصغير لصغر سنه وتمييزاً لأبي القاسم الكبير الأندلسي فسمعهم الشيخ أبو الحسن يوماً وهم يقولون : أبو القاسم الصغير فقال : لِمَ تصغرونه هو عند الله كبير.

الشيخ أبو العباس الخديم :

ومنهم الشيخ الصالح الولي أبو العباس الخديم ، خدم الشيخ عبدالرزاق الكبير والشيخ عبد الرحيم[3] العظيم ، والشيخ أبا الحسن[4] نفع الله بهم . وأدخله الخلوة وفتح له بما قسم له . وشهد له الشيخ بأنه من الذين قال الله في حقهم : « تعرف في وجوههم نضرة النعيم »[5] بعثه الشيخ عبد الرحيم

---

(١) في الأصل بياض بقدر ثلاث كلمات .
(٢) سورة الأنعام الآية ٨٩ .
(٣) عبد الرحيم القناوي .
(٤) أبو الحسن الصباغ .
(٥) المطففين آية ٢٤ .

لسوق قِنا ليشتري طاجناً • فمضى إلى سوق قِنا فلم يجد شيئاً ، فمشى إلى قوص فاشترى منها طاجناً وعاد لم يزد في رواحه لقوص وعوده لقِنا زماناً زايداً على مسافة شرائه من قِنا رضي الله عنه •

أبو عبـد الله محمد الشاطبي :

وكان من أعيان أصحابه الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد الشاطبي صحب الشيخ صحبة حسنة وألبسه خِرْقَةَ التصوف • ولم يلبسها غيره من الشيخ• اعتماداً من الشيخ على نسبة أصحابه في الباطن ، فألبسه إياها بسؤاله له ذلك ، وأدخله الخلوة ، وفتح عليه بما قسم لديه وكان له مخاطبات واستقامات في التصرفات ، وخلق جميع • وولاه الشيخ الإمامة في خانقاته • وجاء إلى مصر بعد وفاة الشيخ • وحصل بيني وبينه ود كثير وانتفعت به • واجتمعنا بمكة في المجاورة سنة ثلاث وعشرين وستمائة ٦٢٣ • وخرجت يوماً للطواف بخاطر خطر لي في غير وقت عادتي للخروج إلى الطواف فيـه ، فأجده في الطواف • فقال : ما جاء بك ؟ في غير وقت عادتك ؟ قلت له : وجدت باعثاً أزعجني • قال: هو خاطري كنت الساعة أطوف ، وأسمع مخاطبته في حقك • مضمونها : قد عقدت بينكما محبة أخوة في الله وبالله ومن الله • فأظهرت له قبول ذلك والسرور به • فقال : هل ترى أن يظهر ذلك في الحسن ؟ قلت[1] له نعم • فمشينا إلى الحجر الأسود فقبلناه وعقدنا عنده عقدة الأخوة • وسافر لدمشق وحصل له ظهور ، وانتفع به جماعة رضي الله عنه •

الشيخ أبو الربيع السهروردي :

ومنهم الشيخ الصالح العارف أبو الربيع سليمان السهروردي صحب الشيخ صحبة حسنة : أدخله الخلوة وفتح عليه بما قسم له •

كانت له بداية حسنة وبذل معتبر في سبيل الله • خرج عنه الشيخ حين

---

(١) في الأصل قال له •

بايعه ، وعاش بعد الشيخ بجلالة وحرمة وانتفعت به جماعة وكان له رباط في طحطا[1] فيه جماعة كانوا يقتدرون به رضي الله عنه .

أبو العباس اليمني :

ومنهم الشيخ الصالح الولي أبو العباس[2] اليمني . كان من زهاد الأرض ملتزماً لبس المرقعة ، والاستمرار للاستغراق في التوجه والاعراض عن الوجود بالكلية ، ملحوظاً بالولاية ، ثابتاً على هذا الحال إلى أن مات رضي الله عنه .

الشيخ أبو الطاهر :

ومنهم الشيخ الصالح الولي أبو الطاهر[3] رضي الله عنه . كان من أعبدهم مستمر الاشتغال دائماً ، كثير الانفراد والخلوة ملحوظاً بالولاية إلى أن انتقل الشيخ . سافر لمكة وأقام بها على حالة تجريده وبعده إلى أن مات بها .

الشيخ محمد بن عبد العزيز :

ومنهم الشيخ الصالح الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز . كان الخادم الكبير رأس الخدام وصاحب أسرار الشيخ . وكان شيخي يظهر له الحرمة . وكان الخدام ستة وعشرين خادماً . ووصاه الشيخ على أطفال أولاده وكانوا جمعاً كبيراً يضيق الوقت عن استيعاب ذكرهم ، كملوا ستمائة . أكثرهم عاشرناهم وانتفعنا بهم رضي الله عنهم .

---

(١) طحلها انظر ص ٨٣ .

(٢) أبو العباس اليمني : اسماعيل بن محمد الحضرمي أبو العباس ، جامع كرامات الأولياء ٣٥٧/٨ مات سنة ٦٧٧ هـ . وهو الملقب بقطب الدين الإمام الكبير ، جاء أبوه من حضرموت إلى اليمن ، نسبة الى سيف بن ذي يزن الحميري . كراماته خارقة ، حكى عنه اليافعي كثيراً وذكر المناوي وقوف الشمس له .

(٣) أبو الطاهر . ربما كان أبا الطاهر المحلي خطيب مصر تقي الدين . سافر لمكة وأقام بها الى أن مات .

اخوة الشيخ الحرار :

وكان للشيخ إخوة رجال أعيان منهم الشيخ العارف أبو عبد الله محمد، كان مثل الشيخ في السن ، صاحب فتوحات ومنازلات ومخاطبات ملحوظة بالحرمة . وأخ آخر يقال له يوسف . كان قريباً من الشيخ عزيزاً في دائرته . كان مشاركاً لأصحابه فيما كانوا فيه . وأخ آخر يقال له إسماعيل . وكان تاجراً[1] ملحوظاً بالحرمة . وكلهم مجتمعون على الشيخ بارّون له . وكان للشيخ ولد كبير من زوجته ــ وكانت[2] له قبل ابنة الشيخ عبد الرحيم ــ تحت دائرة والده ، موافقة للفقراء فيما كانوا عليه ــ جاور بمكة . يسمى عبد الله رضي الله عنه . ونفعنا بهم أجمعين .

العباس المريني :

وممن رأيت الشيخ الولي العارف المعظم العباسي المريني . كان بالمغرب كثير السياحات عظيم الكرامات أقام اثنتي عشرة سنة لم يحل بينه وبين السماء حجاب ولا بينه وبين الأرض . وأقام ست سنين في مكة لم يدخل جوفه سوى ماء زمزم . وربي عليه الشحم واللحم ، فالحظ رحمك الله طهارة جثة نشأت هذا الإنشاء . وكان له صلة بالنبي ﷺ يرد عليه السلام بما سلم ويجاوبه مهما تحدث معه . وكان في مدة سياحته مستغرقاً فيها . إلى أن رأى يعقوب[3] أمير المؤمنين بالمغرب مرائي[4] وأحوالا وجدها من نفسه من أحوال المريدين .

---

(١) في الأصل اجرا .

(٢) أي زوجته .

(٣) كان ملكاً فزهد ، وهو المنصور أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي القيس الملقب بأمير المؤمنين بويع سنة ٥٨٠ هـ بعد أبيه وهو ابن ٣٢ سنة توفي سنة ٥٩٥ هـ ، راجع العبر للذهبي ٢٨٩/٤ ووفيات الأعيان لابن خلكان ٤٢٨/٢ بولاق .

(٤) مرائي : جمع مرأى .

كان سببها أنه قتل أخاه غيرة على الملك فندم على قتل أخيه ندماً أورث لـه توبة أثرت في باطنه أحوالاً حسنة • وتغير عليها من نفسه ما لا يعهده بثمرة التوبة فما كان أبركه عليه ذنباً • ورب قطيعة جلبت وصلاً • وكم في الزوايا من خبايا • فشكا[1] ما يجده لمريدة كانت تدخل قصره • فقالت له : هـذه أحوال المريدين • قال لها : كيف أعمل بنفسي ومن تعرفين يداويني قالت له : الشيخ أبو مدين سيد هذه الطائفة في هذا الزمان فبعث يعقوب للشيخ أبي مدين طلبـه طلباً حثيثاً والتجأ إليـه اقتضى إجابـة الشيـخ أبي مدين لـه • فقال : نطيـع[2] الله سبحانـه وتعالى بطاعته ، أما أنا فما أصل إليه ، أنـا أموت بتلمسان[3] • وكان الشيخ حينذاك في بجاية • فلما وصل لتلمسان قال لرسل يعقوب : سلموا على صاحبكم وقولوا له : شفاك الله على يد أبي العباس المريني • ويقبل على يده • ومات الشيخ سيدنا أبو مدين بتلمسان • ومضت الرسل ليعقوب فأخبروه بما أوصى به الشيخ • فطلب الشيخ المريني طلبـاً حثيثاً • وسيَّر إلى كل الجهات إلى أن ظفروا به • وأخبروه بما عليه من الطلب•

أمر برفع الدجاجة المخنوقـة :

ووجد[4] من الحق سبحانه إذناً بالاجتماع فمشى إلى أن اجتمع به[5] • ففرح يعقوب بالظفر بوجوده • فأول ما عمل أن أمر بذبح دجاجة وخنق أخرى وأن تطبخ كل واحدة منهما على حدة وقدمهما بين يدي الشيخ وسأله أن يتناول للأكل ليواكله فنظر الشيخ إليهما وأمر الخادم برفع المخنوقة وقال : ما لهذه حاجة هذه جيفة • وأكل من الأخرى • فسلم يعقوب نفسه له • وترك نفسه معه بمنزلة خادم • وفتح له على يده وترك الملك وما أدرك ما ملك المغرب •

---

(١) فشكا : أي يعقوب •
(٢) في الأصل نطع •
(٣) تلمسان : من مدن الجزائر •
(٤) الشيخ المريني •
(٥) بيعقوب •

ومن يعقوب ؟ سلمه[1] لابنه • واشتغل مع الشيخ فيما كان يجتمعان عليه • وثبت قدم يعقوب في الولاية ببركـة الشيخ أبي العباس • وإشارة السيد أبي مدين •

يدعو فينزل المطر :

ومما جرى ليعقوب بإشارة الشيخ • أن الناس كانوا محتاجين للمطر فركب الشيخ على بغلته ويعقوب على فرس • وخرجا إلى ظاهر مراكش فوصلا إلى رابطةٍ فنزلا بهـا • وقـال أبو العباس المريني ليعقوب : صلِّ واستسق للمسلمين • قال له يعقوب : أنت أحق وأولى ، قال له الشيخ : بهذا أمرت • فصلى يعقوب ودعا فنزل المطر على الفور • وكان الشيخ يقبل الأموال ويأتي بها إلى الحجاز ويفرقها في مكة والمدينة مراراً إلى أن مات رضي الله عنه •

أنفك منك ولو كان أجذم :

ومما جرى له في تفرقة الأموال أنه كان يعتمد في صدقاته على المجاورين الفقراء الصالحين ويهمل أمر الأشراف • لما يرى منهم من القتل والتعدي وسوء الاعتقاد • فبينما هو راقد ذات ليلة ، وإذا هو يرى سرادق قد نصب من ظاهر الحرم إلى حجرة النبي ﷺ ، فسأل عنه فقيل هو للسيدة فاطمة جاءت تزور أباها ، وإذا بها قد مرت تحت السرادق فتعرض لها بالسلام عليهـا فأعرضت فقال لها : يا سيدتي ما هذا الإعراض ؟ فقالت : يا أحمد أنفك منك ولو كان أجذم • فاستيقظ للإحسان لساير الأشراف • فكتب كل من في المدينة من كبير وصغير وذكر وأنثى وصار يعمهم بصدقاته رضي الله عنه •

ومما حكاه الشيخ المعظم الجليل أبو محمد صالح شيخ دكالـة بالمغرب قال : كنت مع العباس المريني في السياحة • فغبت عنه وهو نائم فجئت إليـه

---

(١) أي سلم الملك لابنه •

وإذا أجد حية عظيمة قد تطوقت على حلقه • وزبيبتها قبالة وجهه تقاقي كما تقاقي الدجاجة ففتح أبو العباس عينه فرآها ثم نام إلى أن سمعت غطيطه • فسمعت مخاطبة من السماء : يا أحمد ! لقد عجبت ملائكة السماء من توكلك ثم تحلّلَت[1] وانصرفت •

وجدناك صادقاً :

وجلس يوماً على قرن جبل على البحر الملح ، فوجد حاله وقد رمى[2] نفسه من قرن الجبل للبحر • فنزل في البحر إلى أن وصل إلى قراره • فخرجت له يد رفعته إلى قرن الجبل مكانه ، ثم قيل له مخاطبة من الجبل • يا أحمد لم تجرب نفسك ؟ لقد جربناك فوجدناك صادقاً •

وكانت كرامته كبيرة عظيمة رضي الله عنه •

أبو الحجاج الأقصري :

وممن رأيته الشيخ الولي العارف أبو الحجاج يوسف[3] الأقصري • كان من أجلاء أصحاب الشيخ عبد الرحيم شيخ الشيخ أبي الحسن بن الصباغ • كان عظيم الشأن صحب الشيخ عبد الرحيم والشيخ الكبير عبد[4] الرزاق الذي

---

(١) أي الحية •

(٢) في الأصل : أرمي نفسه •

(٣) أبو الحجاج يوسف الأقصري بن عبد الرحيم • راجع كرامات الأولياء ٢/١٩١ وجمهرة الأولياء ج ٢/٢٤٩ وصفحة ٩٨ من كتاب التراث الروحي لمحمد عبد المنعم خفاجي • وفيه يقول : هو يوسف بن عبد الرحيم بن غزي الصوفي المشهور ضريحه بالأقصر • مناقبه مشهورة • توفي في رجب سنة ٦٤٢ هـ وابنه نجم الدين الأقصري توفي سنة ٦٨٤ هـ •

(٤) عبد الرزاق الكبير طبقات المناوي ص ٢٣٨ : صوفي حاله غزيرة ونفحات سره طافحة نسبته منية مسبر ، أخذ الطريق من القليبي ، اجتمع بالبلتاجي فقال : فتحك على يد الشيخ عبد السلام ، وددت لو كان لك على يدي شيء ودله عليه بضوء من اصبعه حتى وصل فقال له القليبي : السلام عليك وعلى من أرسلك! ومن كرامات الشيخ عبد الرزاق بعد أن اكتمل على يد القليبي انه إذا مر بالمُقْعَد وقال له : قم يقوم ويمشي أمامه من غير علة • وكان الأبدال يأتونه للزيارة حتى سمي مسجده بمسجد الأربعين وله كرامات كثيرة •

كان بثغر الاسكندرية، من أجل أصحاب السيد أبي مدين، وصحب هذا الشيخ يوسف أيضاً الشيخ حبيب العجمي ، وكان هو الغالب عليه في مواجيده وأحواله ، وكان عظيم الشأن .

أبصر هذه الجارية :

وسيرة الشيخ أبي الحجاج في كراماته ومكاشفاته وأحواله وآثار تحكماته في أصحابه فوق الوصف ، وقد اتسعت دائرته وانتسب إليه خلق كثير ، ظهرت عليه بركات يضيق الوقت عن ذكرها ، وكان يوماً في بدايته وهو شاب عند الشيخ عبد الرحيم فقال له : يا يوسف أبصر هذه الجارية أين هي ؟ فأطرق وقال : يا سيد في الضيعة الفلانية في دار فلان ، فذهب من سَيَّرَهُ الشيخ للضيعة وللدار التي ذكرها ، فأخذها وجاء بها للشيخ ، وهذه حكاية فيها معنى عجيب : كون الشيخ لم يطلع على جاريته، وكان أولى وأقدر لعظيم خصوصياته واستندب أبا الحجاج يوسف لإظهارها والكشف عنها ، وذلك لتعالي الشيخ عن التنزل لهذا القدر من الكشف المسمى بالصوري ، وهو أدنى مراتب الكشف ، فاستندب من كان في دائرته لهذا الأمر لكونه كان حاله في ذلك الوقت استعمالاً له ، وتصحيحاً لحاله ، وإجازة له بالتصرف فيما أناله إياه ، وهذا شأن أكثر المعلمين لمن يفيدونه مما يعلمونه والله أعلم .

وقد قيد عنه أصحابه حكايات[1] هايلة وتحكمات معتبرة ومكاشفات مستكثرة رضي الله عنه .

الشيخ مفرج القصباني :

وممن رأيته الشيخ الصالح المعظم مفرّج ، كان بدمامين[2] من بلاد

---

(١) في الأصل : أصحايات .

(٢) دمامين قرية كبيرة بالصعيد شرقي النيل ، فوق قوص وعليها بساتين ونخل . مراصد الاطلاع ٢/٥٣٣ .

الصعيد . أقام بها إلى أن مات ودفن بها . كان عبداً حبشياً . ملكه بعض تجار الصعيد واستخدمه . اجتباه الله واصطفاه بلا أسباب معلومة ولا مقدمات معلومة . أخذه عن حسه المعهود أخذة عظيمة أقام فيها ستة أشهر ما استطعم طعاماً ولا شراباً . هذا قوله رضي الله عنه . ومما رأوا منه في أوائل أخذته أن سيده لما رأى حاله تغير، ضَرَبَه فلم يتأثر للضرب، فظن به الجنون ، فاستندب شخصاً لضربه ليفيق ويتناول الغداء[1] فلا يقدر . فيقول الضارب للجنية في زعمه اخرجي . فيقول الشيخ : خرجتْ . يعني نفسه . والضارب يظن أنه يقول عن الجنية . فقيدوه وحبسوه وغابوا عنه . ثم جاؤوا إليه فوجدوه خارجاً منه[2] فتكاثر ذلك عليهم . من كراماته إلى يوم حضروا له فراخاً مشوية فلحقهم في الهواء وقام لهم : طيروا فطاروا أحياء بإذن الله تعالى فكفوا[3] منه. وتكاثرت ولايته إلى أن اشتهر بالولاية وظهرت بركاته في الوجود وتوجه إلى الخلايق واشتهر اسمه في البلاد . وكان يكتب اسمه في الحروز . واجتمع بالشيخ الإمام القدوة أبي الحسن الصباغ بشعثه آخر أخذته منكشف الرأس شعثاً ، له ستة أشهر مأخوذ عن الإحساس المعهود . لم يستطعم فيها طعاماً ولا شراباً . فألقى نفسه على الشيخ أبي الحسن فأخذه إليه وأزال شعثه وأقبل عليه بقبول حالِهِ والشهادة له بصحة الأخذة واستراح عليه . فكان مجذوباً في أول أخذته واستراح على الشيخ في أول صحوه .

وكان الشيخ يعامله في الحرمة . فدعاني هذا الشيخ سيدي مفرج من قوص[4] إلى بلده دمامين ، فأقمت[5] في ضيافته ثلاثة أيام . وكان كريم

---

(١) في الأصل الفدا .
(٢) من السجن .
(٣) في الأصل فانكفوا .
(٤) قوص : مدينة كبيرة ، وهي قصبة صعيد مصر . بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً وبينها وبين قفط فرسخ . راجع المراصد ٣/١١٣٣ .
(٥) المتكلم المؤلف صفي الدين .

الأخلاق • سألته عن قضية جرت لبعض أصحابه ببلده • قال شخص منهم كان قد حج لآخر : رأيت الشيخ مفرجاً بعرفة • فنازعه الآخر بأن الشيخ ما فارق دمامين • ولا راح لغيرها ، وحلف كل منهما بالطلاق ثلاثاً من زوجته : أحدهما أنه رآه بعرفة ، والآخر بأنه لم يغب عن دمامين في أيام عرفة فاختصما إليه • وذكر كل منهما يمينه فأقرهما على حالتهما ، وأبقى كل واحد على زوجته • فسألته عن حكمه فيهما ، فصدق أحدهما يوجب حنث الآخر • وكان حين هذا الحديث ــ معنا جماعة معتبرون • قال الشيخ لنا : قولوا • وأذن لنا ، في أن نتحدث في سر هذا الحكم • فتحدث كل منهم بوجهٍ لـم يكفِ • وكانت المسألة قد اتضحت لي ، فأشار الشيخ لي بالايضاح فقلت : الولي إذا تحقق في ولايته ومكّن بالتصرف روحانيته يعطى من القدرة التصور في صور عديدة في حين واحد في جهات متعددة على حكم إرادته • فالصورة التي رآها بعرفة حق ، والصورة التي رآها لم تفارق دمامين حق • وصدق كل واحد منهما في يمينـه •

قال الشيخ : هذا الصحيح • يشير إلى موافقته على كل ما أوضحتـه لصورة ما حكم به بين المتنازعين في أمره •

ازدحام الناس عليـه :

وجاء مرة إلى مصر في زمن الملك[1] الصالح ابن الكامل • وكان الخلق يزدحمون عليه ازدحاماً ، كنا نخاف عليه فيه التلف • ولقد رأيته يوماً في طبقة الشافعي وحولـه حجّاب السلطان وبعض الأمراء ، والخلق حـول المكان لا يستطيعون الوصول إليه من الازدحام والقتل بعضهم لبعض • وهو جالس على حافة صَفّةٍ وحوله فيها أكابر الأمراء وأكابر الخلق يزدحمون على يديه

(١) الملك الصالح : النجوم الزاهرة ٦/٣١٩ • هو نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل ابن السلطان الملك العادل • ولي الشرق وديار بكر أيام والده الكامل ولد بالقاهرة سنة ٦٠٣ هـ وتوفي سنة ٦٦٣ هـ وله في النجوم الزاهرة ترجمة وافية •

من تحت الضفة كازدحامهم على الحجر الأسود أيام الحج • ويده تخطف من يد إلى يـد • وهو في تلك الحالة ينعس كأن ما حولـه أحـد لاستمرار حكم الأخذة عليه وعدم وجود بقية عن نفسه ، يستيقظ ، لما كان فيه من اشتغال الخلق به ، وزحمتهم عليه ، لغلبة حكم القناعة •

صار يابساً كالقرن :

ولقد كنت معه يوماً في هذه الطبقة فأخرجت رأسي من طاق ، فأجـد الخلائق مجتمعين تحت الطاق ، قد ضجروا من القعود ، للعجز عن الوصول إليه • فصاحوا[٢] : يابن أبي[٣]المنصور أرنا الشيخ ، فقلت له : يا سيدي أخرج رأسك من هذه الطاق ودع هؤلاء الخلائق يروك ويروحوا ، فأخرج رأسه • فوقف الخلق وكشفوا رؤوسهم وصاحوا يا الله يا الله • كأن الحق تجلى عليهم ورأيته يبس حتى كار كالقرن • وبقي مشبوكاً برأسه في الطاق ، مأخوذاً عن حسه • فجذبته من الطاق ووضعته على الأرض يابساً كأنه القرن • فانظر رحمك الله فناء هذا الرجل عن نفسه التي لو بقي معه منها ذرة كان هذا وقت وجودها• وسيرته عظيمة •

وكان إذا مشى لا يلحق في[٤] ضعف مشيه في الظاهر،وكان القبول عليه عظيماً وغيبته عن نفسه أعظم • وكان مرة يصلي بالجماعة في محراب مسجده ، والناس خلفه • فغاب عنهم في الصلاة في المحراب ، ما عرفوا كيف غاب عنهم رضي الله عنه •

أبو العباس الطنجي :

وممن رأيته الشيخ الولي أبو العباس الطنجي • كان كبير الشأن في المغرب

---

(١) أي كأنه لا أحد حوله •
(٢) في الأصل بدون فاء •
(٣) أي المؤلف الصفي •
(٤) يقصد رغم ضعف مشيه •

في بدايته بالحرمل ، وهو اسم وحش معروف بالحدة والقوة عظيم القدر في أحواله وتحكماته • ظهر بالمغرب وصحبه جماعة انتفعوا بهمته وأنفاسه • وجاء إلى الحج فنزل في مسجد بقنا من بلاد الصعيد وكان فيها الشيخ الجليل عبد الرحيم ، شيخ الشيخ أبي الحسن بن الصباغ • فلما نزل بها قصد زيارة الشيخ عبد الرحيم ، فلما حضر بين يديه قال له الشيخ عبد الرحيم : أنت أحمد الطنجي الذي يتكلم في الذات والصفات فسكت الشيخ ، ثم قال له الشيخ عبد الرحيم أسألك أسئلة تجيبني عنها : الخيمة الخضراء المضروبة بإزاء العرش فبماذا ضربت أوتادها ؟ ثم مسألتين من جنس هذه•قال الشيخ الطنجي، ما كنت اطلعت على هذه الأسئلة قبل ذكر الشيخ عبد الرحيم لها • فعندما سألني كشف لي عنها وأجبته • قال يا أحمد عرفت محمداً ؟ قم الآن ارجع وامض إلى البيت المقدس اعرف محمداً وتعال • وقال الشيخ الطنجي ، فقمت من بين يديه ورجعت عن نية الحج وتوجهت للبيت المقدس • فساعة دخلت صخرة بين المقدس ورد علي العلم بالنبي ﷺ الذي أشار إليه الشيخ عبد الرحيم فعلمت وعرفت منه ما لم أكن أعلم • فرحت للشيخ عبد الرحيم وأخبرته بما فتح الله به من معرفة النبوة المحمدية حسب إشارته ونفاذ همته وانتسب بذلك إليه •

وهذه حكاية عظيمة : كون الشيخ الطنجي كان قد انتهى في المعارف والكشف إلى ما انتهى إليه من مواجيد أهل التوحيد إلى أن كان يتكلم في الذات والصفات • ثم كشف الأسئلة التي سأله الشيخ عنها • وأجابه بما كشفه منها وإطلاع الشيخ على معارف بالنبوة المحمدية لم يكن الطنجي مع هذه العطايا عرفها إلى أن أحاله الشيخ عبد الرحيم على التوجه لمعرفتها • وعلم الشيخ عبد الرحيم بما يرد على الطنجي من ذلك في المكان المعين لورود العطية• وكمال هذه الخيرات ، وظهور أحكامها على مقتضى الاطلاع عليها •

مالك لا تقرأ :

فلقد كان الشيخ عبد الرحيم عظيماً رضي الله عنه • وكان الشيخ الطنجي يحضر عند القرشي في مصر ، فاتفق أنه حضر عنده يوماً وكان أبو العباس بن القسطلاني مريد الشيخ القرشي يقرأ بين يديه المواعيد فقعد يوماً بين يدي الشيخ القرشي ليقرأ ففتح الكتاب وسكت ، فقال له الشيخ القرشي ليقرأ ففتح الكتاب وسكت • فقال له الشيخ القرشي مالك لا تقرأ ؟ قال له : يا سيدي الكتاب وسكت • فقال له الشيخ القرشي[1] مالك لاتقرأ ؟ قال له : ياسيدي له : أبو العباس الطنجي فقال الشيخ القرشي له : يا أبا العباس ! معي تفعل هذا ، ثم قال القرشي للقارىء : اقرأ ، فوجدالكتاب مكتوباً فقرأ على عادته ، وهذا الحكم من الطنجي في حضرة القرشي عظيم •

وكان من الأكابر رضي الله عنه رأيته مراراً صحبة سيدي الأستاذ • ومازجت أصحابه •

الشيخ أبو عبد الله الشريفي :

ومنهم الشيخ الولي الجليل أبو عبد الله الشَريفي • كان أمير أصحابه• في صحبته وتصحيحه لقواعد الصحبة • كثير الرياضات ، حسن الاستقامات زوّجه الشيخ الطنجي ابنته • وكان الشيخ في كفالته خدمة وإقامة • وكان الشيخ الطنجي مترفّعاً عن أكثر التصرفات الحسية والعلمية والشَريفي قائم بها عنه • ولما انتقل الشيخ الطنجي ألقى الشيخ الشَريفي نفسه على شيخنا الأستاذ أبي العباس الحرار ، استراحة عليه واستناداً إليه ، إلى أن مات الشريفي وأوصى سيدي الشيخ على أولاده وأصحابه ومكانه • وأوصاني الشيخ الأستاذ أبو العباس عليهم حين وفاته ، وخدمتهم بعده • وكان هذا الشيخ الشريفي إذا

---

(١) الشيخ القرشي أعمى ، كما ذكرنا •

جاء سيدي الشيخ ورآني[1]، يقبل علي ويقول لي : صفي أقول لـه : لبيك يا سيدي فيقول شعراً :

صبروا علـى مـر القضاء	ورضوا بأحكـام الحكيم
فهم الذين هـم هـم[2]	أهـل العنايـة من قديـم

أي اجتهد واصبر •

الشيخ أبو زايـد :

وكان من أصحاب الشيخ وأكبرهم الشيخ العارف الراسخ أبو زيد[3] سكن بعـد موت الشيـخ بالميمون[4] وعرف بهـا • وهي ــ أي الميمون ــ قريـة من بلاد البهنسانية[5] • كان كبـير الشأن عظيم الاستقامـة راسخاً في أحوالـه ومعارفـه • نافذ الإدراك في أنفاس التوحيد • هاجـر ودخـل

---

(١) في الأصل : يراني •

(٢) في الأصل هم مرة واحدة •

(٣) لعله أبو زيد (أبو يزيد) وهو طيفور بن عيسى البسطامي • أبو يزيد • زاهد مشهور له أخبار كثيرة • كان ابن العربي يسميه أبا يزيد الأكبر ، نسبته الى بسطام ، أصله منها ، ولد سنة ١٨٨ هـ ــ ٨٠٤ م وتوفي ببسطام سنة ٢٦١هـ ــ ٨٧٥ م ، قال المناوي قد أفردت ترجمته بتصانيف حافلة •
انظر الأعلام ٣/٣٣٩ وطبقات الصوفية ص ٦٧ وحليـة الأولياء : ١٠/٣٣ وطبقات الشعراني ١/٨٩ ــ والرسالـة القشيرية ص ١٧ ووفيات الأعيـان ١/٣٠١ وصفة الصفا ٤/٨٩ ، وشذرات الذهب ٢/١٤٣ ، وميزان الاعتدال ١/٤٨١ ومرآة الجنان لليافعي ٢/١٧٣ والبداية والنهاية ١١/٣٥ • وسير أعلام النبلاء للذهبي ٩/١٨ •

(٤) الميمون والزيتون قريتـان جليلتان بصعيد مصر الأدنى غـربي النيل قـرب الفسطاط ، مراصد الاطلاع ٣/١٣٤٦ •

(٥) البهنسة مدينة بمصر من الصعيد الأدنى ، غربي النيل وليست على ضفته وهي كبيرة عامرة وبها مقام للمسيح ١/٢٣٥ مراصد الاطلاع •

العراق وجرى لـه مجريات[1] الرجـال . ثم سكن مسكوتاً عظيماً وسكت سكوتاً كثيراً حتى قيل له عن كثرة سكوته فقال لما كثر الكلام من أهل الباطل سكت أهل الحق . وكان لي ـ بحمد الله ـ منه التفاتة ونظر ولقد وردت عليه في بلده مرة وأقمت في ضيافته ثلاثة أيام . رأيت في بعض لياليها : كأن الشيخ أبا يزيد في صورة والدي جمال الدين . فسررت بذلك وأخبرته به رضي الله عنـه .

أصحاب الشيخ الطنجي :

وكان من أصحاب الشيخ الطنجي جماعة حسنة قد تنسموا من أنفاسه منهـم :

الشيخ الولي أبو السرور المغربي صحبه من برقـة وكانت لـه أحوال وكرامات . ومنهم أبو الحجاج يوسف المصري خادم الشيـخ الطنجي ومباشر خدمته . ومنهم الشيخ أبو يعقوب يوسف والشيخ مأمون الزناتي واسماعيل أبو الطاهر أخوهم مات بمحلة مخدوم . وكان حافظاً لأحاديث الرجال حسن النقل عنهم رضي الله عنه . وكان للشيخ الطنجي زوجة صالحة وله منها أولاد. قالت : كنت مرة مع الشيخ وأصابتنا فاقة شديدة ما أكلنا فيها شيئاً أياماً. ففتح عليه بشيء فأخذه الشيخ وخرج ليغيثنا بشيء نأكله . ثم دخل علينا ومعـه منديل مملوء ورداً ، فوضعه بيننا فقلنا يا سيدي : ما نصنع بهـذا ؟ أليس لنا أيام ما أكلنا شيئاً ولا أنت . قال لها : أَنسيتِ هذا الذي تقولين ورأيت هذا واستحسنته فاشتريته .

---

(١) في الأصل ماجريات .

ضربوه بالسيوف :

وكان يوماً في سفر فخرجت عليه حرامية فضربوه بالسيوف ضربات عديدة وهو لا يلتفت إليهم ولا يظهر عليه ذرة تأثر لما اتصل به منهم ، ولم يبدُ منه ما يدل على إحساسه بذلك رضي الله عنه .

أبو الحجاج يوسف :

وكان ممن رأيتهم الشيخ الصالح الولي أبو الحجاج يوسف بن سليمان من أهل أقلوسنة من بلاد البهنسان . كان كبير الشأن يظهر عليه سر الولاية لمن يراه وكان من أصحاب الشيخ القرشي رضي الله عنه .

الشيخ أبو كريـم :

وممن رأيتـه ببلاد البهنسة الشيـخ الصالح الولي أبو كريـم كان بالأرجنوس[1] من بلاد البهنسة عظيم الشأن كثير الكرامات والمكاشفات وانتفع به جمع كثير . وكانت طريقته التجريد والزهد وقطع الأسباب ومما كان يفعله ببدايته إذا طلع نيل مصر وعمر في الأرض يجمع أكثر الحشرات المؤذية للجزاير العالية من الحيات وغيرها . فكان يفتش أي جزيرة وجدها مملوءة ثعابـين وعقارب يطلع إليها ويرقد بينهم ولا يبرح بينهم إلى أن يجد من نفسه الثبوت والسكون مع الله تعالى بعدم الالتفات إليهم أو الخوف منهم . قد خرج رضي الله عنه هو والشيخ الصالح الولي عبد الحميد بن الرقام . كان عليـه رونق الولاية وله فتوح وكان الأكثرون يقولون أنه يطلع على كنوز الأرض ولا يأخذ منها شيئاً رضي الله عنه .

---

(١) إرْجَنُّوْس : بالكسر ثم السكون وفتح الجيم وتشديد النون وفتحها وسكون الواو وسين مهملة قرية بالصعيد من كورة البهنسا معجم البلدان ١/١٤٤ .

موسى العسكوري :

ومنهم الشيخ الصالح الولي أبو العمران موسى العسكوري[1] كان من الأولياء ، والشيخ الصالح الولي أبو الحارث كان من الأولياء ، هؤلاء كانت بدايتهم على يد الشيخ أبي كريم ثم تزايدوا بعد ذلك خيراً كثيراً .

وممن رأيته ببلاد البهنسة الشيخ الصالح الولي عبد العظيم الشروني سافر للمغرب وصحب الشيخ الكبير عبد العزيز المهدوي[2] من أكابر أصحاب الأستاذ الكبير قطب العارفين أبي مدين رضي الله عنه . وكان الشيخ عبد العظيم مشهوراً بالبركة والخلق الجميل وله كرامات تعرفها أصحابها . وخلف ابن أخته الشيخ الصالح عبد المؤمن . كبير الشأن كثير الزهد والورع حسن الأخلاق والسعي في الإصلاح بين الناس والسعي في ضروراتهم ، وكان له قبول عظيم ، طاهر القلب ، وحصل به نفع كثير رضي الله عنه .

عبد الوهاب البدهلي :

ورأيت ببلاد البهنسا الشيخ الصالح الولي عبد الوهاب البدهلي كثير المكاشفات وظاهره واله مع الاستقامة رضي الله عنه .

ورأيت ببلفيا[3] رجلاً مولهاً وعند أكثر الناس مجنون . له كشف ، ومما

---

(١) أبو عمران موسى العسكوري أي الهسكوري . من الجانب الشرقي من مراكش ومات سنة ٥٩٠ هـ . ودفن برابطة الفار خارج باب أغمات . وكان يمزج ضحكه ببكائه . ماتت زوجته وتركت له ولداً اسمه حبيب فضاقت به أحواله فذهب إلى السويس لزيارة أبي حفص عمر بن هارون الذي دعا له . فوجد اللبن في صدره وصار يرضع ولده حتى كبر واستغنى عن الرضاع .

(٢) عبد العزيز المهدوي : راجع أنس الفقير وعز الحقير لابن قنفذ ص ٩٧ ـ ٩٩ والحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي ص ٢١٨ ـ ٢٢٢ ومختصر الدرة الفاخرة لابن عربي مخطوط بالسليمانية رقم ١١٠/١٧٧٧ له مؤلفات منها رسالة مخطوطة باسم الصلاة المباركة بالمكتبة الأحمدية بتونس رقم ٣٨٣٢ ، وراجع الفتوحات المكية لابن عربي ١/١٢٠ ـ ١٢١ ـ ١٢٢ ـ ٢٣١ وهو أحد مشايخ ابن عربي .

(٣) لعلها بلقينه وهي قرية من حوف مصر من كورة بنا . ويقال لها البوب أيضاً معجم البلدان ١/٤٨٩ .

جرى له أنه كان يوماً ومعه دابته وعليها أردب قمح • فجاء إلى بحر من بحور البلاد وطلب المعدية فلم يجدها • فساق الدابة في البحر فعدت البحر وعليها أردب القمح وهو راكب فوق القمح إلى أن طلع للبر الذي طلبه •

الشيخ عبد الملك :

ورأيت بمصلوطا رجلاً كبير الشأن يسمى عبد الملك[٢] كان قد انتسب لسيدي الأستاذ في آخر وقته • كثير السياحات في البراري والجبال • دخل ورأى عجايب أهل الرواق • ومما جرى له في سياحاته أن صبية من الجان مؤمنة صالحة سائحة كانت من بناء بعض ملوك الجن صحبته • فقال لها : ما يجوز لي صحبتك إلا بأمر مشروع فاتفق معها على إحضار قاضي الجان • فعقد بينهما عقد النكاح على الوجه المشروع ولم يكن لهما مقصود سوى جواز الصحبة • وأقام بجبل المقطم سايحاً مدة يقتات فيها بورق الأشجار وغاب عن بلده مصلوطا سنين ثم جاء إلى قبالتها في بر الشرق أقام بمسجد خراب على ساحل البحر مدة يرى بلده وأهله ولا يعدي لهم • يأكل مما يطرحه البحر لساحله من أوراق الخضر وغيره • إلى أن أمر بالاجتماع بهم على البلدة • وعمر مكاناً حسناً وتأهل واشتهر بالولاية • وقال سيدي الأستاذ عنه : إن عاش يكن من الأبدال مات في بلده رضي الله عنه •

المجد الأخبنيني :

وممن رأيته في المنية الشيخ أبو عبيد الله جبريل كان من الرجال المشهورين،

---

(١) عبد الملك أبو مروان : نفح الطيب ٢/٤٤ ، ومن الراحلين إلى المشرق أبو مروان عبد الملك بن ابراهيم بن بشر القيسي وكان أواسط السابعة ذكره الفقيه أحمد بن ابراهيم بن يحيا الأزدي القشتالي في تأليفه : تحفة المُغرَب ببلاد المغرب • ومن كلامه : من حافظ حوفظ عليه ، ومن طلب الخير بصدق وصل إليه • ومن أخلص العبودية لربه قام الأحرار خدمة بين يديه •

وهو الذي ربى الشيخ الجليل العالم المجد الاخميمي[1] وعلمه القرآن . ولو لم يكن كرامة ألا نشاهد الشيخ مجد الدين[2] ببركته وخلف هـذا الشيخ جبريل أولاداً علماء وصلحاء .

وكان هذا الشيخ مجد الدين قد ظهر ظهوراً عظيمـاً بالفقر النظيف ، والصلف اللطيف ، والقراءة الحسنة والتجويد ، وتألفت القلوب عليه ، إلى أن رغب فيه الشيخ الإمام العالم الكامل الفقيه تقي الدين أبو الطاهر خطيب مصر وصاحب الشيخ القرشي ، وزوجه ابنتـه رغبة فيه وأقامه في الخطابـة بمصر واستمر بها بعده استمراراً حسناً ، باجتماع قلوب الكافة عليه . وكان حسن الأخلاق كثير المشي في حوائج الناس ، والدخول معهم في مصالحهم مرغوباً لذلك . يمشي في حاجة الكبير والصغير والحر والعبد ، والمسلم والكافر . تحبه سائر الطوايف والملل . تردد مراراً لرجل كان من أولي الأمر وكان فيه[3] جبروت ، فلم يقبل له شفاعة ولا إجابة لقضاء حاجة فتردد ما يزيد على عشر[4] مرات في نهار واحد . وكلما قصد بالمشي إليه يمشي إليه مع من يقصده . فقال له في الأخيرة لما زاد عليه : يا شيخ كم تأتيني وأنا لا أقبل لك قصداً وأنت لا تنقطع ؟ فتبسم مجد الدين وقال : المقصود هو الله سبحانه وأنت لا تمنـع ولا تعطي . فاعتذر واستغفر وقضى جميع الحوائج التي كان قد تردد لـه بسببها وكان للوجود به جمال رضي الله عنه .

وممن رأيته بثغر الاسكندرية الشيخ الإمام القدوة مالك كـان عظيم الشأن يعظمه جميع رجال الثغر .. متفق على ترجيحه وعظم قدره رضي الله عنه.

---

(١) الشيخ المجد الأخبنيني . أو مجد الدين ، لعلّه الذي ذكر في النجوم الزاهرة ٢٦٣/٦ وهو مجد الدين أبو المجد بن الحسين القزويني الصوفي بالموصل .

(٢) لعله يقصد أنه صاحب بركة ، أو (لو لم يكن له كرامة إلا أن نشاهد الشيخ مجد الدين ببركته لكفى) .

(٣) الرجل المتكبر من أولى الأمر .

(٤) في الأصل عشرة .

أبو عبد الله ابن أبي شامة :

والشيخ الجليل القدوة أبو عبد الله بن أبي شامة ٠ كان عظيم الشأن كثير الاعتدال كثير الورع والزهد ، عظيم الحرمة ٠ يرجع الناس في أمورهم إليه ٠ تزوره الملوك وساير الناس ٠ انتفع به جمع كبير ٠ وله حكايات مستفاضة من كرامات وتأثيرات جلية من نوع التسخيرات ، وعموم الراحات والتوسط بين الناس ٠ والهمة النافذة وشهرته عظيمة رضي الله عنه ٠

أبو القاسم القباري :

ورأيت بها الشيخ الزاهد الورعَ أبا القاسم القباري[1] وشهرته عظيمة واتفاق العالم عليه رضي الله عنه ٠

كان من أهل الاسكندرية تعبد بها على طريق الورع الشديد٠ وأنشأ بستاناً على خليج الاسكندرية اقتصر عليه وسكن فيه٠ وكان يأكل من مغلّه[2] وكان البستان ضعيف الحال وكان يزرع فيه الفول وأكثر أكله منه٠ وينسج ما يلبسه منه٠ وحديثه طويل عظيم٠ فمما جرى له أن شخصاً كان جالساً بجانبه، فرأى على طرف ثوب الشيخ القباري شيئاً من تراب أو غيره ، فنفضه عن ثوبه ، فأنكر عليه وألزمه بأن يأخذ منه قطعة فضة سوداء أجرة نَفْضِه لما كان على طرف ثوبه ٠ وكان الملوك يجيئون إليه فلا يلتفت إليهم ولا يظهر عنه لهم إكرام إلا القدر الذي يضطر أن يفعله مع أقل الخلق يفعله معهم من كلام أو رد سلام لا غير ٠ واشتهر في بلاد الإسلام وبلاد الروم بما كان عليه من الزهد والورع والتدقيق الذي ما سمع بمثله رضي الله عنه ٠

---

(١) أبو القاسم القباري بن منصور بن يحيا ولد سنة ٥٨٧ هـ ــ ١١٩١ م توفي سنة ٦٦٢ هـ ــ ١٢٦٤ م وله بالاسكندرية مسجد ٠ راجع أعلام الاسكندرية ٢٢٣ ــ ٢٣١ وجمهرة الأولياء ج ٢ ص ٢٥ للمنوفي ٠

(٢) من غلة البستان ٠

أبو الفقراء حجاج :

ورأيت بها الشيخ الصالح الولي أبا الفقراء حجاجاً ، كان من أعيان أصحاب الشيخ عبد الرزاق الكبير صاحب الشيخ القطب أبي مدين . وكان طريقه ايصال الراحة للفقراء إلى أن سمي أبا الفقراء وسخر له أبناء الدنيا يتقاضى منهم ما يتقاضاه ، ويصرفه على الفقراء والأرامل والأيتام ، وكان في رباط الشيخ عبد الرزاق تكفل بجميع من فيه من اخوته أصحاب الشيخ . وكانوا رجالاً معتبرين سماطهم ممدود بالطبيخ والمخزن مملوء بالقمح . ويخرج فيدور على فقراء الثغر يمشي لبيوتهم ومنهم من يجيء إليه . وشهدت القلوب بصدق نيته وحسن معاملته لله تعالى . فركنوا إليه . فكانت الأموال ترد عليه، وهو يخرج ويعم[1] ، حتى أنه دخل عليه في يوم عاشوراء ألف دينار حصلها وجاء إليه منها ما جاء . دار البلد على الفقراء ، وجاء عشية إلى باب الرباط وجئته ولم يبق فيه منها شيء . وقال لي يا بني ! كنت أطلب من شخص عشرين سنة وهو لا يعطيني شيئاً وأنا لا أترك طلبه إلى أن سخره الله إليّ أن صار يعطيني المائة دينار فما حولها في مرة واحدة .

أتتّهم من أمّنه الله :

وفقه هذه الحكاية أنه ليس له نفس متأثرة للمنع ولا للعطاء فلم يعزّ عليها المنع . وكان طلبه من الله فلم يصده منع الشخص عن الطلب . وقصد رجلاً من أهل الثغر أن يُخرج عشرين ديناراً يدفعها لأبي الفقراء ثم قالت له نفسه : إخراجك أنت لها[2] أحسن وأيقن . فنام تلك الليلة فرأى النبي ﷺ وهو يقول: أتتّهم من أمّنه الله . فأصبح الرجل وأخذ في جيبه عشرين ديناراً وخرج يطلب أبا الفقراء حجاجاً . فلما لقيه سلم عليه وناوله العشرين ديناراً وقال له : يا أبي

(١) يعم بها الفقراء .
(٢) أي الصدقة .

اصرف هذه على من تراه • قال له حجاج : أهذا[1] بعد أن رأيت ما رأيت ؟ وهزه • فاستغفر الرجل منه وقال له : يا بني ! أربعين من التجار الأكارم كنت آخذ منهم للفقراء ، افتقروا وأنا اليوم أعطيهم • وكان رحمة في الوجود بسعة البر وحسن النية والاصلاح[2] لذات البين ، وكفالة الضعفاء ، والإقبال على البر على من يرد الثغر • وكان للوجود به جمال وأنس وبركة رضي الله عنه •

أصحاب الشيخ عبد الرزاق :

ورأيت بالثغر بقية أصحاب الشيخ عبد الرزاق منهم الشيخ الصالح الولي عبد الرحمن بن الطيب • كان من أهل الاسكندرية سلك بعد وفاة الشيخ عبد الرزاق ايصال الراحات لخلق الله ، وكانت القلوب مقبلة عليه مسخرة له • يعتمد في إنفاقه على التساوي • وله خدام يساعدونه على التفرقة[3] فيعم فقراء الثغر بما يفرقه ولو أنه رغيف[4] كل واحد ، إلى دينار ، ولا يرجح أحداً على أحد ولا يستقل شيئاً يفرقه • وكانت له كرامات وأحوال سنية ونفع كثيراً من الفقراء والمسلمين رضي الله عنه •

عبد الغالب :

ومن أصحاب الشيخ عبد الرزاق الشيخ الصالح الولي العارف عبد الغالب كان كبير الشأن وكان أصحاب الشيخ عبد الرزاق يعترفون له بالفضل • وكان فيه اعتدال ورسوخ في أعماله وسلوكه واعتدالاته رضي الله عنه •

ومنهم الشيخ الصالح الولي أبو النور• كان كاسمه[5] نوراً سمحاً أبيض أنقى ، رهيف الصورة لطيف الشمايل ، أقام عشر سنين ما شرب الماء ولا خرج

---

(١) في الأصل هذا •
(٢) في الأصل الاصطلاح •
(٣) التوزيع •
(٤) أي يعطي بالتساوي من رغيف الى دينار •
(٥) في الأصل اسمه •

من زاويته من الرباط إلا للجمعة لا غير ، بقي على ذلك سنين عديدة ، وكان مشهوراً بالولاية رضي الله عنه .

عبد الرحمن الفراش :

ورأيت منهم الشيخ العارف الولي عبد الرحمن بن الفراش كان كبير الشأن تعظمه الجماعة ويميزونه . وكان له رسوخ واعتدال ونفس في المعرفة رضي الله عنه .

موسى المغربي :

ومنهم الشيخ الصالح الولي موسى المغربي كان من أعيان أصحاب الشيخ كثير المجاهرات مستمر الخلوة ، لا يخرج من زاويته في الرباط إلا وقت الجماعة للصلاة ولا يخرج من الرباط إلا للجمعة . أقام على هذا سنين كثيرة رضي الله عنه .

أبو حفص عمر التلمساني :

ومنهم الشيخ الولي العارف أبو حفص عمر التلمساني كان عظيم الشأن. قال لي[1]: وقفت مرة على جانب البحر فدعوت للمسلمين ، فسمعت الجواب من صدر البحر : ولك مثله مرتين أو ثلاثاً. فقلت[2] للشيخ عبد الرزاق المهدوي لما كان عندنا في الثغر : أني يكلمني الحجر . فلما سافر للمهدية كتب كتاباً للجماعة وقال فيه : السلام على عمر الذي كلمه الحجر فعتبتُ عليه بقوله عني كذا . قلت[3] : ما موجب العتب ؟ قال : من يكلمه الله ينعت بكلام الحجر . وكان لطيف الشمائل ، لطيف الأنفاس ، حسن الأخلاق رضي الله عنه .

---

(١) القائل هو المؤلف صفي الدين .
(٢) المتكلم هو الشيخ أبو حفص عمر التلمساني .
(٣) القائل هو المؤلف صفي الدين .

وجيه الدين عوف :

ومنهم الشيخ الصالح الزاهد الفقيه العالم وجيه الدين عوف • كان من بيت كبير جمعوا العلم والعمل والرياسة • جدهم الفقيه أبو الطاهر عظيم الشأن متفق على علو قدره ، زاره صلاح الدين[1] ، وكان ينتفع برأيه • وقد صحب هذا الشيخ وجيه الدين ، الشيخ عبد الرزاق • وتميز بصحبته بأخلاق الفقراء وسلوك مسالكهم • وكان إمام جامع الثغر رضي الله عنه •

عبد الرحمن المغربي :

ورأيت بالثغر الشيخ الصالح العارف الولي الكبير عبد الرحمن المغربي كان عظيم الشأن • اجتمعت فيه أنواع الولاية : الاستقامة ، والكرامات ، والأحوال السنية ، والمعارف الجلية ، والأنفاس العالية ، والسياحات الهائلة ، ومما حكى لي عن بعض سياحاته أنه بلغ جبل قاق • ورأى الحية الدايرة بالجبل رأسها على ذنبها • وكان له من المنازلات والاطلاع على المغيبات ماليس للأكثرين المشهورين في زمانه وصحبته • واطلعت منه على أن له مقاماً عظيماً وانتفع به جمع كثير وخلّف أولاداً صلحاء ، فقراء عباداً ، وكان له في الثغر حرمة وأثر وبركة رضي الله عنه •

عبد الرحمن النويري :

ورأيت به[2] الشيخ الولي الكبير عبد الرحمن النويري • كان عظيم الشأن كبير الحرمة يزوره أعيان صلحاء الثغر رضي الله عنه •

أبو زكريا يحيا :

ورأيت به الشيخ الصالح الكبير الولي أبا زكريا يحيى من أصحاب سيدي

---

(١) الأيوبي •

(٢) بالثغر •

الإمام أبي مدين رضي الله عنه • دخلت عليه صحبة أبي الفقراء حجاج• فوجدته شيخاً قد كبر سنه وصار كالفرخ ، فزرناه وسألناه الدعاء • وجدناه مع هــذا الحال صائماً رضي الله عنه •

أبو عبد الله المالقي :

ورأيت به[1] الشيخ الصالح الولي اللطيف أبا عبد الله لما لقي[2] ، كان من الأعيان وكان متميزاً باللطافة، ويسير من الدعابة[3]• وله نفس في التوحيد، ويغلب عليه شيء من المحبة ، وانتفع به جماعة وكان له قبول بالثغر وفي بلاده رضي الله عنه •

عبد القادر النقاد :

ورأيت به الشيخ الصالح العارف عبد القادر النقاد سلك المعاملات على يدي الشيخ ابن أبي شامة • ثم استولت عليه الأحوال ، فظهر عليه بعد ذلك وله ، كان ينطق فيه بالعجائب ، من النطق بأسرار الأحوال والمعارف لما تكاثر هذا منه ضاق عن حمله بعض فقهاء الثغر فأودعوه البيمارستان والأحوال تغلب عليه والكشوفات • فزاره الشيخ الكبير المعظم فريد وقته أبو العباس المتفق على تفرده في وقته • فلما جاء إليه زائراً البيمارستان ، ورأى حاله وسمع نطقه قال : هذا عبد" قادر • وحسبك من فضيلة هذا الرجل هذه الشهادة من هذا الكبير •

واصطحب معي هذا الشيخ عبد القادر بمصر وبالثغر زماناً ، ورأيت من علو أحواله وأنفاسه وماجرياته عجايب يضيق الوقت عن ذكرها • ومات بالثغر وخلّف أولاداً صلحاء أعياناً رضي الله عنهم •

---

(١) في الاسكندرية •

(٢) أبو عبد الله المالقي : هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن غالب المالقي • أخذ عنه كتاب تحقيق الجواب • نهض الى مراكش وتوفي في أقصى بلاد السوس سنة ٦٤٥ هـ انظر نفح الطيب ١/٣٤٧ •

(٣) في الأصل الخلاعة •

أبو عبد الله العصار :

ورأيت به الشيخ الصالح الولي العابد أبو عبد الله العصار • كان من أصحاب الشيخ ابن أبي شامة • ظهر بالثغر بخير كثير وانتفع به جمع كبير • وكان كثير الاستقامة ، وخلف خلفاً حسناً • منهم الشيخ الصالح أبو الفضل قام مقامه في رباطه وظهر خيره وانتفع الناس به •

ورأيت به الشيخ الصالح العارف أبا الربيع سليمان[1] المراكشي • من أصحاب الإمام أبي محمد صالح • كان له بالثغر ظهور وبركة رضي الله عنه •

الشيخ أبو الفتح :

ورأيت بالثغر الشيخ الإمام القدوة ، العارف الكبير أبا الفتح • كان عظيم الشأن ، شهرته عظيمة أذن له السيد أحمد الرفاعي (نفع الله به) بالتوجه لديار مصر بإشارة عليه ، ظهر حكمها ، فلما وصل الثغر ظهرت عليه الأحوال السنية ، والمعارف الجلية ، والهمة العلية ، واستجابت له البلاد وانقادت له أعيان الناس• وكان له لسان ناطق وإشارات عليه ، ونفاذ همة ، واتسعت دائرته ، وزارته الملوك ، وحديثه مشهور ، وما رأينا ممن جاء من جهة العراقين مثله ، وخلف جماعة رجال أولياء ظهرت عنهم الكرامات ، منهم الشيخ الصالح الولي أبو اسحق ابراهيم القلبيني • بلده من بلاد الغربية ، استقر بها بعد وفاة الشيخ ، هو وأخوه الإمام العارف الكبير عبد السلام ، واشترى بها بستاناً حسناً واجتمعت عليهم الفقراء ، واتسعت عليهم البركات واتصلت بالفقراء عنهم أنواع الراحات ، وبسط لهذا الشيخ عبد السلام في آخر عمره بسطاً كثيراً واتسعت دائرته • واستجاب له خلق كثير • وكان بيني وبينه صحبة واجتماعات • ومما جرى له عندي أني كنت بالقاهرة في ضيافة شخص • وكان[2] بمصر قد جاء

---

(١) أبو الربيع سليمان المراكشي من أصحاب الشيخ أبي محمد صالح • في جامع كرامات الأولياء ٢/ ٣١ سليمان أبو الربيع المصري وسليمان أبو الربيع المالقي•

(٢) أي الشيخ عبد السلام •

إليها في حاجة لبعض أصحابه • فبينا نحن في دار الشخص الذي نحن في ضيافته وإذا بالباب يضرب ، فخرج بعض الخدام للباب ورجع ، قال : سيدي الشيخ عبد السلام • قلت له : أسرع إلى خدمته ، وأدخل به ، وإذا هو دخل علي وعنده حال سكر ، فسلم علي وقال : طلبتُك بمصر فلم أجدك قلت : يا سيدي! وكيف عرفت هذا المكان حتى جئت إلي فيه • وما هو مكان معهود • فنظر إلي نظرة منكرٍ لهذا التعجب ثم قال لي : مر أحد هؤلاء يحضر لي ناراً • فخرج الخادم فصدف دابة عليها حمل حلَفة[1] وقضبان[2] فأخذ الجميع ودخل ، ووضعه في صحن الدار• فقال لي الشيخ : مُرْه يضرم فيها ناراً• فأضرم الخادم فيه ناراً إلى أن أشعلت وعمت جميع ما كان فيها من الوقود • فقام الشيخ من جِواري ودخل النار وبقي في وسطها قائماً[3] ، والنار تتوقد وتلعب ألسنتها بذيل ثوبه إلى أن خمدتْ فجاء إلي واعتنقني فوجدته بارداً كالرصاص •

وكانت كراماته وأحواله كثيرة رضي الله عنه • وتتج له جماعة كثيرة وأولاد صلحاء •

أبو محمد البلتاجي :

ومنهم الشيخ الولي العارف أبو محمد[4] البلتاجي • كان كبير أصحاب الشيخ أبي الفتح، وكلهم يعترفون له بالحرمة، كثير الأعمال آثار الولاية ظاهرة عليه ، يعرف أصحاب شيخه له أحوالاً سنية يتميز بها على غيره • وكان له قبول كثير رضي الله عنه •

---

(١) الحلَفه : هي الحلفاء نبت في الماء • مختار الصحاح •

(٢) في الأصل قضاب •

(٣) في الأصل قايماً •

(٤) أبو محمد البلتاجي : انظر جامع كرامات الأولية ٢/١١٠ وهو عبد الله البلتاجي تلميذ الرفاعي • أصله عجمي كان إماماً في العلوم النقلية والكشفية ذكر عنه المناوي كرامات كثيرة •

عبد القادر الاسكندراني :

ومنهم الشيخ العالم الولي العارف عبد القادر الاسكندراني رضي الله عنه • توفي بمصر • كان مشهوراً بالأحوال السنية ، والمكاشفات السرية والنطق بالحكم والمعارف رضي الله عنه •

ضرغام المسيري :

ومنهم الشيخ ضرغام المسيري كان في « مسير » من أعمال الغربية كبير الشأن انتفع به جمع كبير ، له لسان ناطق ، بالحكمة والمعارف ، متميز بين الأكابر رضي الله عنه •

ومنهم عمران كان خادم الشيخ مشهوراً بالولاية والكفالة بخدمة الشيخ• بعثه للرواق حتى أحضر له أهله للثغر ، لما حصلت إقامته فيه رضي الله عنهم أجمعين •

أبو عبد الله الشاطبي :

ورأيت به الشيخ الصالح الولي الكبير المحترم أبا عبد الله الشاطبي الكبير خادم الشيخ أبي العباس الكبير المعروف بالراسي ، كان يسكن أولاً برأس خارجة في البحر ، بنى فيها بنفسه مكاناً عمّره ، شرى جيره ولِبْنه بنفسه إلى أن تكمل خارجاً في البحر يخاض إليه بأحجار كبار منصوبة مغروسة به ، ثم بعد ذلك كثرت شهرته واتسعت دائرته وانتقل إلى (محرس سوار)[1] وعمّره وأنشأ صهاريج ، وكان مكانه قد صار كعبة الثغر ، لا بد لكل أحد من الملوك، وأكابر الناس من زيارته• وسائر العالم متفق على سيادة هذا الشيخ وتفرده في وقته • وأحواله عظيمة وكراماته كثيرة ، ومكانه إلى الآن كعبة يعظمها كل من يتولاه• وكان هذا الشيخ محمد الشاطبي يخدم الشيخ أبا العباس خدمة كفالة•

---

(١) مكان •

وله حرمة عظيمة . قال الشيخ : ما خطرت لي حاجة في وقت من الأوقات إلا وبدأني بها محمد من غير قول .

احترموه ولا تعارضوه :

وحصلت في وقت لهذا الشيخ الشاطبي فترة خاطر . فترك الشيخ أبا العباس[1] وجاء إلى عند سيدي الأستاذ أبي العباس الحرار بمصر . فلما جاءنا تعجبنا وتعجب الناس . قال لنا الشيخ : هذا الرجل احترموه ولا تعارضوه ، مهما أراد يفعل . فتكلف الشاطبي بجميع الخدم مدة إقامته عندنا . إلى أن تألم أهل الثغر لصرم[2] الشيخ أبي العباس[3] الراسي له ، وضياعه بعده . فجاء إليه من الثغر الشيخ الوجيه ابن عوف وسأله العودة للشيخ أبي العباس . فودع سيدنا الأستاذ ومضى لشيخه . وأقام به[4] . وأوصى له بالمكان بعده وكفله إلى أن مات رضي الله عنه .

واشتهر أبو عبد الله الشاطبي الكبير خادم الشيخ ، وأقبل عليه العالم . وكان على يده للفقراء راحات واجتماعات ، وانبسط في السماعات ، وسُخر له الخلق، وكان أهلاً للبسط والاستقامة والزهد ، وعدم الادخار ثوبه لا يملكه . ورسم الخدمة ما خرج عنه ، فلما كثر بسطه بالسماعات ضاقت صدور بعض فقراء الثغر عن حمله ، فلما بلغه كلامهم أخذ مفتاح المحرس وراح واجتمع بالفقيه الربغي الحاكم ، فقال له : يا فقهاء ما بيننا وبينكم إلا هذا المكان ، آنتم في حل منه ومن بلدكم ورمى له المفاتيح وهاجر إلى مكة أقام بها إلى أن مات .

---

(١) أي أبو العباس الراسي .

(٢) الصرم القطع . وهنا لانقطاعه عن الشيخ .

(٣) أبو العباس الكبير المشهور بالراسي . يسكن بالراس الخارجة من البحر . بنى بيتاً بيده . راجع تنقيح روضة الأزهار ص ٢٤٠ . ومنية السادات الأبرار لكريم الدين الخلوتي . مات ببرنو من بلاد السودان .

(٤) ثغر الاسكندرية .

وكان بمكة كثير السعة على الفقراء سخر الله له ذلك ، دائم التجديد لا يملك ثوبه ، والفتوحات ترد عليه ، يصرفها وينفقها ، اجتمعت معه بمكة ، وكان معه طائفة حسنة مقتدين به رضي الله عنه .

الولي عبد المعطي :

ورأيت بالثغر الشيخ الصالح الفقيه الولي عبد المعطي ، كان جامعاً للعلم والعمل ، كثير الاشتغال بالأعمال . يقال له إن له اجتماعات بالخضر عليه السلام وانتفعت به جماعة وكان كثير التواضع للفقراء . ولقد دعانا لبيته مرة فأخرج لنا قصعة فيها طعام وجلس بها في وسطنا ثم وضعها على رأسه وأمرنا أن نأكل منها ، فأكلنا منها وهي على رأسه إلى أن فرغت وله عند أصحابه بالثغر كرامات كثيرة رضي الله عنه .

عبد الرحمن السوسي :

ورأيت بالثغر عبد الرحمن السوسي كان من رجال المغرب وعبّاده كثير السياحات . قال : كنت في السياحة تألف إليّ الوحش وتجلس حولي وأمشي بينها[1] ، إلى يوم خطر لي دخول المغارة إذ[2] تذكرت طفلاً صغيراً كان يقرد لي . ثم رأيت غزالة صغيرة من الوحش الذي حولي . فخطر في نفسي : لو كانت معي هذه الغزالة أحملها للطفل الذي خطر لي من أقاربي . فعندما خطر لي هذا الخاطر نفر الجميع مني وتباعدت الوحوش[3] وصارت تنظر إلي خلاف ما كانت عليه . فاستغفرت الله من ذلك الخاطر فعادت إلى ما كانت عليه . رضي الله عنـه .

---

(١) في الأصل بينهم كأنني منهم .
(٢) في الأصل بدونها .
(٣) في الأصل : تباعدوا ، ينظرون الى خلاف ما كانوا عليه .

ابو الحسن علي الكندي :

ورأيت بالثغر الشيخ الصالح الولي أبا الحسن علي الكندي • كان من الرجال وغلب عليه الحال • إلى أن كان يظهر عليه بعض اختلال فسئل بعض الأكابر عن حاله فقال : كان شاهداً ليلة القدر فكشف له عما تجلى عليه فيها • وكانت له مدة دون طعام • فأثرت فيه هذه الحال • وكان الشيخ الشاطبي الكبير صحبه وخدمه قبل خدمته للشيخ أبي العباس الراسي •

ومما جرى لأبي عبد الله في خدمته أنهما كانا مسافرين على ساحل بحر الملح ، فحصل لهما عطش فقال الشاطبي له اجلس إلى أن أفتش على الماء • ومشى الشاطبي يطلب الماء فظفر به فوقع عليه ، وهو في أشد ما يكون من العطش فلم يشرب ، وأخذ من الماء ، ورجع يطلب الشيخ أبا الحسن الكندي إلى أن وجده فسقاه ، وحينئذ شرب هو بعده • وهذا من أعظم الايثار[١] • فالماء الذي وجده لا ينقص بشربه ، وهو شديد العطش • فلم يشرب مع كثرة الماء ووجوده إلى أن وجده[٢] وسقاه رضي الله عنهما •

ورأيت بالثغر الشيخ الصالح الولي أبا تراب • صحب الشيخ الولي الكبير أبا يعزى[٣] شيخ الشيخ أبي مدين •وكان سنه حين رأيته مائة وأربعاً وأربعين سنة • وحكى بعض كرامات الشيخ أبي يعزى عياناً رضي الله عنه •

---

(١) في الأصل من أعظم الفتوة •

(٢) الشيخ ابا الحسن الكندي •

(٣) أبو يعزى شيخ الشيخ أبي مدين • راجع كرامات الأولياء ٢/٢٨٨ • وهو أبو يعزى يكتور بن خضر بن عبد الرحمن المغربي • أحد أئمة أولياء المغرب أقام في البر خمس عشرة سنة ، ليس له قوت إلا حب الخبازى • سكن باعيت وهي قصبة من أعمال فاس وتوفي فيها • كانت الأسد تأوي إليه والطير يعكف عليه قال الإمام الشعراني : أبو يعزى المغربي انتهت إليه تربية الصادقين بالمغرب • قال الشيخ أبو مدين : زرته مرة في الصحراء وحوله الأسد والوحوش، والطير تشاوره على أحوالها ، فكان يقول الى ذلك الوحش : اذهب الى مكان كذا وكذا فهناك قوتك ، فتنقاد كلها لأمره •

أبو الحسن علي الشاذلي :

ورأيت الشيخ الإمام العارف القدوة أبا الحسن علي[1] الشاذلي من أكابر الأئمة المربين الهادين إلى الله تعالى . كان مقيماً بثغر الاسكندرية ونشأ على يديه جماعة معتبرون أرباب كرامات ومعارف واسراءات ومعارج . وكان له مواعيد حافلة ولسان ناطق طلق ، وعبارات موضحة وتأثيرات بينة ، توفي في طريق عيذاب[2] وحكاياته بين أصحابه كثيرة رضي الله عنه . كان قد جاء إلى ديار مصر وهو بصير جميل الصورة ، جميل الهيئة . وتصدق علي بأن جاء إلى مكاني بالقرافة . وهو أول رؤيتي له . ثم حج وسار للمغرب . وجرى له فيه عطاء . ثم جاء إلى ديار مصر . وأقام بالثغر إلى أن سافر بنية الحج . فمات في طريقه رضي الله عنه .

---

(١) أبو الحسن علي الشاذلي : هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز الشاذلي المغربي . أبو الحسن رأس الطائفة الشاذلية . ولد في غماده من قرى افريقية عام ٥٩١ هـ ــ ١١٩٥ م . تفقه وتصوف بتونس وسكن شاذلة فنسب إليها . ورحل إلى المشرق فحج ودخل العراق ثم دخل الاسكندرية وتوفي بصحراء عيذاب وهو في طريقه إلى الحج سنة ٦٥٦ هـ ــ ١٢٥٨ م . ضريراً ينتسب إلى الأدارسة أصحاب المغرب . ألف في سيرته كتب حافلة منها الشاذلي للدكتور عبد الحليم محمود . وكتاب « الطائف المبني في مناقب أبي العباس المرسي وشيخه الحسن الشاذلي » . وكتاب « المفاخر العلية في المآثر الشاذلية لابن عباد وغير ذلك .

مصادر ترجمته : الأعلام ١٢٠/٥ ومعجم المؤلفين ١٣٧/٧ . نكت الهيمان للصلاح الصفدي ص ٢٣١ . وطبقات الشعراني ٤/٢ . ونور الأبصار ص٢٣٤ وجامع الكرامات لمحمد الكوهن ص ١٥ . والتراث الروحي في مصر ص ٨٨ للخفاجي . وجمهرة الأولياء ص ٢١٢ .

(٢) ميناء على ساحل البحر الأحمر تجاه جدة . كانت منذ العصور القديمة ثغراً نشيطاً تلتقي فيه سفن التجارة القادمة من الهند والشرق الأقصى . وكانت طريق الحجاج المصريين في العصور الوسطى (معجم البلدان) ١٧١/٤ .

الشيخ محمد السيوفي :

ورأيت الشيخ الصالح العارف أبا عبد الله محمد السيوفي . كان من الأكابر عظيم الفتح مستمر الأخذ ، راسخاً في ذاته ومعارفه ، مستقيماً في تصرفاته متفقاً على سيادته ، كثير الكشف عظيم الصمت . لا يكاد ينطق إلا في واجب ورجع إلى بلاده بعد حجه . واجتمعوا عليه وله بينهم سيادة عظيمة ، وحرمة تامة وانتظام كلمة ، وطاعة محكمة. سلّم له أهل قبيلته أنفسهم وأموالهم يتصرف فيهم . تصرف النبي في قومه . نفع الله به .

أبو العباس ابن عطية :

ورأيت الشيخ الصالح العارف الولي أبا العباس بن عطية من أكابر القوم، عظيم الشأن كثير السياحات والأحوال والمعارف الحسنة . طريقته التجريد الصحيح . بقي عليه إلى أن مات . وأوصى من حوله أن أغسله . ورأيت ذلك من نعم الله تعالى علي رضي الله عنه .

رشيد الدين الفرغاني :

ورأيت الشيخ العارف الجليل رشيد الدين الفرغاني من أعظم أصحاب سيدنا الشيخ الإمام شهاب الدين السهروردي رضي الله عنه . كان هذا الشيخ رشيد الدين عظيم القدر بين الصوفية. في ساير بلاد العراق والشام وديار مصر. قيل إن الشيخ شهاب الدين قال : كل أصحابنا في قبضتنا ونحن في قبضة رشيد الدين وسيرته عظيمة كان الاجتماع به في مصر بزورة منّ الله تعالى بها منه إلي رضي الله عنه .

أبو العباس الضرير :

ورأيت الشيخ الصالح الولي أبا العباس الضرير من أعيان أصحاب الشيخ

سيدنا الإمام الأستاذ أبي أحمد جعفر[1] الأندلسي . شيخ سيدي الأستاذ الحرار . جاء إلى مصر وأظهر فيها طريق التجريد العظيم . ولقد رأيته خرج الى الحج من القاهرة . اجتمعت به في بركة[2] الحبش مؤزراً للحج ، وهو محرم بخرقة في وسطه وخرقة على كتفه وابريق لا غير ماشياً مجرداً من جميع الأسباب . ووصل كذلك إلى مكة وعاد وحوله جماعة يتبعونه على طريقه . وحكى لي أنه لما قدم على الشيخ أبي أحمد سلبه جميع ما كان قد حصل عليه من العلم ومن القراءة . وكان هذا الشيخ العباسي الطويل قد حصل شيئاً من العلم ، وكان يقرأ قراءة معتبرة . فلما سلبه جميع ما كان حصّله ورد عليه فتح شريف وأناله عطية رفيعة . فلما استكملها . وعاد إلى وجوده ، وأعيد له ما كان سلبه . وأقام بقرافة مصر واتسب له في البلاد أصحاب ومريدون ومات بها رحمه الله رضي عنه .

فخر الدين الفارسي :

ورأيت الشيخ الإمام الصوفي فخر الدين[3] الفارسي . كان من أكابر المشهورين. تزوره الملوك والأعيان . صحب جماعة من مشايخ العجم وخدمهم.

---

(١) أبو أحمد جعفر الأندلسي : العارف الكبير الولي الشهير ٢٥٣/١ . راجع جامع كرامات الأولياء للمناوي . وقد ذكر أحواله التي وردت في كتاب صفي الدين.

(٢) بركة الحبش : هي أرض في وهدة من الأرض واسعها طولها نحو ميل ، مشرفة على نيل مصر خلف القرافة ، وقف على الأشراف . تُزرع فتكون نزهة خضرة لزكاء أرضها وريها . وهي من أجلّ متنزهات مصر . وليست ببركة للماء وإنما شبهت بها . وكانت تعرف ببركة المعافر وبركة حمير . وعندها بساتين تعرف بالحبش والبركة منسوبة إليها معجم البلدان ٤٠١/١ .

(٣) فخر الدين الفارسي . راجع النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . توفي عام ٦٢٣ هـ ٢٦٣/٦ . وفخر الدين محمد بن ابراهيم بن أحمد الفارسي الخبري ــ وخبر قرية بشيراز ــ توفي في ذي الحجة وله أربع وستون سنة .

آخر من خدم من الشيوخ الشيخ العارف الكبير روزبهان[1] رضي الله عنه.

ضمان السماع علي :

وعمر الشيخ فخر الدين زاوية بالقرافة محتوية على معبد الإمام العارف الكبير ذي[2] النون المصري.وكان الشيخ فخر الدين متضلعاً بالعلم والحديث، صنف في علم الطريق وأحواله مصنفاً حسناً وانتسب له جمع كبير . وشهرته عظيمة غنية عن كثرة الايضاح . ورأيت له حكاية عجيبة وهي أن رجلاً من صلحاء القرافة مات فعمل له أصحابه عرساً واجتمع إليه عالم كثير في زاوية تعرف بزاوية مسعود الغرابيلي . وأحضروا قوالاً كان قد انفرد بالغناء في وقته يقال له الفصيح . فلما اجتمعوا قالوا من المصلحة أن نعلم الشيخ فخر الدين بهذه الصورة قبل أن نفعلها فمضوا إليه وأعلموه فقام معهم ، وحضر بحرمته العظيمة ، وهيئته المحترمة ، وأصحابه حوله وبين يديه . فلما جلس والناس بأسرهم قد اجتمعوا لأجل الفصيح . وكان في أول شهرته وقبول الناس عليه .

---

(1) روزبهان : راجع كشف الأسرار ومكاشفات الأنوار للأب بولس نوبا اليسوعي هو الشيخ أبو محمد روزبهان البقلي الشيرازي . من أقطاب التصوف في ايران سني شافعي ولد في (فسا) من فارس ٥٢٢ هـ ــ ١١٢٨ م توفي سنة ٦٠٦ هـ ــ ١٢٠٩ م وفي جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٤ . الشيخ روزبهان المدفون بالقرافة بالقرب من سيدي يوسف العجمي .

(2) ذو النون المصري : اسمه ثوبان بن ابراهيم الأخميني المصري . أبو الفيض أحد الزهاد العباد المشهورين من مصر . نوبي الأصل . كانت له فصاحة وحكمة وشعر . وهو أول من تكلم في مصر في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية . توفي بجيزتها سنة ٢٤٥ هـ . راجع ترجمته في الأعلام للزركلي ٢/ ٨٨ ووفيات الأعيان ١/ ١٨٦ وحلية الأولياء ٩/ ٣٣١و١٠/ ٣ . والطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥٩ وميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٣٣ ولسان الميزان ٢/ ٤٣٧ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨/ ٣٩٣ . وفي سيرته ألف جمع كثير منهم الدكتور عبد الحليم محمود وهي رسالة مطبوعة . وكذا السيد أبو الضيف المدني . ورسالتان طبعتا في مصر .

وهو شاب حسن الصورة . واجتمع الناس محدقين بالشيخ فخر الدين الفارسي يتأملون ما يصدر عنه . فأشار بتبطيل الفصيح ، وأنكر صورة الاجتماع لأجله فسمع الفصيح ذلك فهرب خوفاً من الشيخ . وكفرت[1] نفوس النفوس بسبب فَوْتهم الأمر الذي اجتمعوا بسببه ، وزهقت[2] أرواحهم . فعلم الشيخ منهم ذلك فتكلم بكلام كثير ثم قال : ضمان السماع علي . ثم أشار إلى فقير مزمزم يقال له علي ابن الزرزور ، يجلس بين الخلق . وكان الجمع كثيراً . فغنى الى أنقال دوبيت[3] مضمومة :

كــررتُ في مذهب العشق زمان   حتى ظهرت أدلةُ الحق وبان[4]

لا زلت أوحــد الــذي أعشقــه   حتى ارتحل الشرك عن القلب وبان[5]

فقام الشيخ فخر الدين الفارسي ، ووضع عمامته على الأرض ، وحجل[6] بهيئته وحرمته واستغراق وجده في سماعه . فما بقي على الأرض إلا من طاب. وكشف الخلائق رؤوسهم صارخين وقتاً متسعاً . وحمــدت الخلائق الله إذ عَوَّضَهمْ من الشيخ وسماعــه وبجلاله قــدره ما فاتهم من قوّال كانوا يَفْتَتِنون به .

ووفى الشيخ فخر الدين لهم بضمانة : وأنا كنتُ حاضراً هذه القضية رضي الله عنه .

---

(١) نموذج اللهجة العامية ولعلها اكفهرت .

(٢) زهقت : اضمحلّت . ولعله يقصد مَلّت كما تستعمل بالعامية .

(٣) الدوبيت : وزن فارسي نسج على منواله العرب . ودو بالفارسية معناها اثنان. أي أنه مركب من بيتين ويسميه الفرس الرباعي لاشتماله على أربعة أسطر وأوزانه كثيرة أشهرها (فعلن ، متفاعلن ، فعولن ، فعلن) مرتين . وهو وزن البيتين السابقين . انظر ميزان الذهب في صناعة شعر العرب لأحمد الهاشمي ص ١٣٠ .

(٤) بان الشيء بياناً : اتضح .

(٥) بان بيناً بَعُد .

(٦) حَجل حَجلاناً : مشية المقيد ، والغلام على رجل واحدة أو رجلين .

أبو علي الناسخ :

ورأيت الشيخ الصالح الولي أبا[1] علي الناسخ . صحب الشيخ القطب أبا شعيب بالمغرب . كان هذا الشيخ أبو علي عظيم الحرمة في الولاية ، تزوره الأكابر ، عظيم الاستقامة ، معمر[2] الأوقات ، طريقته التوكل ، قال مرة لو قيل لي انك تموت غداً ما كان معي وقت فارغ أزيد فيه عملاً لأجل ذلك القول . فكان يصوم دائماً ، ويهيأ له ما يفطر عليه . فقال عن نفسه ما صرت أفرق بين المطاعم[3] لعدم استعماله للمطاعم بشهوة نفس ، تفرق بين الطعوم ، فنيته فيما يتناوله الإعانة على القيام . فليس له نفس تتناول بشهوتها فيفرّق . وقصده يوماً شخص في مظلمة فقال له : أما أعرف أحداً إلا الله ولا أقصد سواه . فإن أجابني على ما قصدته، وإلا فمتُ صبراً. وخرج يوماً من باب ثغر الاسكندرية. ومعه صاحب له تاجر يعرف بابن محلوبه وكان معه كيس فيه ألف دينار مصرية. قال التاجر للشيخ يا سيدي أنا إذا خرجت من الباب يفتشونني[4] وأنت ما يفتشك أحد ، خذ هذا الكيس معك إلى برا[5] البلد ليسلم من هؤلاء وإذا خرجت أنا إلى برا البلد لحقتك أخذته منك . فوافق الشيخ وأخذه منه في كمه ، وخرج من باب البلد فتعرض له المفتشون وقالوا له يا حاج ! ما معك قال : كيس فيه ألف دينار . فضحك بعضهم على بعض وتبسم بعضهم لبعض وقالوا : لو كان مع هذا شيء كان يقول لكم هذا القول . فاتفقوا على الرجوع وأذنوا له في الخروج ، ولم يتعرضوا له فلما لحقه التاجر قال له : يا سيدي دفعت لك الكيس لأخفيه عنهم ، وأنت أخبرتهم به . قال له الشيخ : أأكذب. ما أمكنني إلا الصدق وقد سلم الله .

---

(١) في الأصل أبو علي .

(٢) يملأ وقته بالعبادة .

(٣) يقصد الأطعمة .

(٤) في الأصل يفتشوني .

(٥) يقصد خارج البلد .

يسألـه الأخوة :

وجاء إليه شخص حيّه سأله الأخوّة فما فعل ، فضيق عليه أوقاته بكثرة سؤاله ، إلى أن ضجر منه . فلما عول على إجابته ، اشترى الشيخ أبو علي عبداً جيداً ، وكساه كسوة حسنة ، وأعتقه عن الشيخ الذي واخاه . وعمل له سبعين ألف لا إله إلا الله ، وصام عنه كفارة أيام كل ذلك سعياً في نجاته في الآخرة وبذلاً للمجهود في الأخوة التي أكره عليها ، وقياماً بحقها .

البرد يورث كل علـة :

ودخلت عليـه مرة في الشتاء وكنت أعاني المجاهدة ، وقلـة الاكتراث بالملبوس . فأقبل علي وقال : يا صفي ! احذر البرد فإنه يورث كل علـة . وعليك بالجوع فإنه يورث كل خير . وأخذ منشفة قطن كبيرة ولفني فيها .

تفاوت المسافة بزيادة التسبيح :

وكان إذا جاء من الاسكندرية ينزل عند أولاد القاضي صدر[1]الدين بجوار جامع الأزهر بالقاهرة . وإذا خرجوا لتربتهم ورباطهم بالقرافة بجوار روزبهان يأخذونه منهم ، وترادف هذا مراراً . وللقرافة بابان في السور . أحدهما تحت القلعة والآخر وهو الكبير الذي يسلك منه للشافعي . فجلسوا يومـاً حول الشيخ أبي علي يتفاوضون[2] أي الطريقين أقرب لمكانهم الذي هـم فيه في القرافة من دورهم المجاورة للجامع الأزهر . فقال بعضهم : الطريق الذي من باب السور الذي للشافعي أقرب . قال آخرون : الطريق التي من الباب الذي تحت القلعة أقرب من الباب الآخر . فلما اختلفوا وهو يسمعهم قال لهـم : الباب الفلاني يعني أحـد بابي السور أقرب من الطريق الآخر بكذا وكـذا

---

(١) القاضي صدر الدين : النجوم الزاهرة ١٩٦/٦ . ولد سنة ٦٠٥ هـ في القاهرة وفيها توفي عن تسع وثمانين سنة . وهو قاضي القضاة صدر الدين أبو القاسم .

(٢) في الأصل يتفاوصون .

تسبيحة ، وعد عدداً من التسابيح • فعلم من قوله أنه كان كل مرة يتوجه من الجامع الأزهر إلى الموضع المجاور لروزبهان ، في رواحه ومجيئه ، على الطريقين في كل وقت • يذكر الله ويسبحه بالعدد ، لا يفتر ولا يغفل ، في حركته ومشيه من المكان إلى الآخر ، إلى أن ترجح عنده تفاوت المسافة بزيادة التسبيح الذي حزره •

تركت القماش سائباً :

وغلبت عليه الطهارة إلى أن نزل في مسجد • فلما أراد الوضوء ، أخذ إبريقه وابتعد عن المسجد بعداً متسعاً ، وترك برنسه وسجادته وما معه في المسجد • في بعض أصحابه فوجد القماش سائباً ليس عنده أحد يحفظه • فلما عاد الشيخ من استبرائه قال له صاحبه : يا سيدي ! تركت القماش سائباً ، وغبت عنه بعيداً • لو رآه أحد كان أخذه ، فتغير لونه وقال له : استغفر الله في حق خلقه • أويفعل هذا أحد ؟ رضي الله عنه •

محي الدين بن عربي :

ورأيت بدمشق الشيخ الإمام العارف محي الدين بن العربي • وكان من أكبر علماء الطريق • جميع بين سائر العلوم الوهبية • وشهرته عظيمة ، وتصانيف كثيرة • وكان غلب عليه التوحيد علماً وخلقاً وحالاً لا يكترث بالوجود كان مقبلاً أو معرضاً • وله أتباع علماء أرباب مواجيد وتصانيف • وكان بينه وبين سيدي الأستاذ الحرار إخاء ورفقة في السياحات رضي الله تعالى عنه •

برهان الدين الموصلي :

ورأيت الشيخ الصالح الولي الصوفي برهان الدين الموصلي كان كبير الاشتغال بالخلوات والذكر • وربى جماعة في الخلوات وكانت له آثار جميلة في تربيته في أصحابه ، وحرمة تامة مات بدمشق رضي الله عنه •

أبو الحسن بن لويزة :

ورأيت وخالطت الشيخ الصالح الكبير الولي القدوة أبا الحسن بن لويزه عرف باسم شيخه الشيخ عبد الملك بن قفل الدمياطي،كان هذا الشيخ أبوالحسن منذ نشأ في خدمة الشيخ أبي مروان عبد الملك بن قفل مقبولاً عليه • أحسن الناس صورة وأكرمهم أخلاقاً وأحلمهم وأوسعهم صدراً • وكان مقيماً بدمياط بعد شيخه • فلما أخذ العدو الأخذة التي كانت في زمن الملك الكامل ، وبقي منها فيها مدة الحصار • كما كان قبله[1] • وكان من جملة الشيوخ في الحصار الشيخ حسن الطويل وفيها مات•ولما مرض خدمه الشيخ أبو الحسن في إحسانه وخلقه • فكان مما خدمه به أن عمل له فرّوجاً أنفق عليه سبعين ديناراً لشدة الحصار وعزة المنافع ، فكان هذا الشيخ أبو الحسن كبير الحلم على الأصحاب، سيد القصبة[2] والقلوب كثيرة الميل لمحبته رضي الله عنه •

أبو العباس الدقاق :

ورأيت الشيخ أبا العباس الدقاق • كان كبير الشأن ، من أصحاب الشيخ الإمام العارف أبي الحسن بن العطار[3] بمدينة فاس وكان هذا الشيخ الدقاق كثير المجاورة بمكة يحترمه الطائف رضي الله عنه •

في بعلبك :

ورأيت ببعلبك الشيخ الكبير العارف المحدث الزاهد القدوة أبا عبد الله محمد صاحب الشيخ الولي الكبير اليوناني[4] • كان هذا الشيخ محمد متعيناً

---

(١) أي قبل الحصار •

(٢) القصبة : قصبة السواد مدينتها ، وقصبة القرية وسطها •

(٣) أبو الحسن العطار • ربما كان أبا الحسن المعروف بابن العصار • علي بن عبد الرحيم • تكملة إكمال الكمال ص ٢٦٤ وهذا العصار موصلي لم يثبت أنه جاء دمشق أو مصر •

(٤) لم نجد له ترجمة •

بالشام في الحديث والفقه والعبادة والحرمة • تردد إليه الملوك وسائر الطوائف• وأتباعه كثير رضي الله عنه •

خواجه جيهان :

ورأيت من الصوفية التي بالخانقاه[1] التي بالقاهرة المحروسة الشيخ العارف خواجه جيهان ، كان رجلاً كبير الشأن ، مشهوراً بالمكاشفات جميل الصورة عظيم السكينة ، له أحوال شريفة • وله بين الصوفية كرامات جليلة رضي الله عنه •

ضياء الدين الكردي :

ورأيت منهم الشيخ الصالح الولي العالم الفاضل المحدث ضياء الدين الكردي • كان كبير الشأن عظيم المعاملات • مترسماً بالزهد والتقلل في الملبوس وغيره • كثير الايثار • ملاحظاً ضعفاء الصوفية بالخدمة بنفسه ، والبر بهم ، والإيثارات لهم ، كثير التواضع مع الرفعة ، كثير الافتقار لطلب النفع[2] مع التضلع بالعلوم • زهد في الخانقاه وانقطع في مكان يعبد الله تعالى • ففي الحالة انتهى إلى أن يختم في كل يوم ختمة وكل ليلة ختمة • فكان له في كل يوم وليلة ختمتان ولا يطلع الأكثرون[3] على حاله رضي الله عنه •

ورأيت في ضيعة من ضياع مصر تسمى (صول)[4] مولهاً يقال له عز الدين • كان من الرجال مشهوراً بالكرامات • رؤي مراراً يلتقي له برّاً

---

(١) الخانقاه كلمة فارسية قيل أصلها خونكاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك • وهي زوايا الصوفية • لم تعهد على هذا النمط المعروف اليوم إلا في القرن السادس • ورتب للفقراء الواردين أرزاقاً معلومة خطط الشام لمحمد كرد علي ص ٦/١٣٣ •

(٢) في الأصل التصلح •

(٣) في الأصل الأكثرين •

(٤) صول قرية في شرق النيل أول الصعيد مراصد الاطلاع ٢/٨٥٧ •

النيل فيعبر من مكان بر إلى بر • كثير الكشف جالساً تحت السماء[1] بين الحلفا • حوله دارة جريد قائماً وهو في وسطه مكشوف الرأس أشعث الحالة• عليه مرقعة أطمار • تشهد في عينيه السرور التام • يقبل على واحد ويطرد عشرين • لا يعلم باطن حاله في وقته تشهد له القلوب بأنه غني متحكم • تسمع عنده في بعض الأحيان من بين فنه ألحاناً لا يسمع في الوجود أطرب منها • وحكاياته كثيرة • غاب عن ذهني[2] أكثرها رضي الله عنه ونفعنا به •

المولـه محمد عجمي :

ورأيت مولهاً اسمه محمد عجمي[3] • صورته جميلة • يقال إنه كان فقيهاً قبل أن يقوله يدور على الدوام بذكر الله ليلاً ونهاراً • ما رأيناه مضطجعاً ولا جالساً ، ليلاً ونهاراً يدور في الصحاري والجبال على هذه الهيئة يأكل إذا أطعم أكل المسحوت[4] المطلوب • ثم إذا أخذ حاجته نهج[5] كما نهج الابل • وهو مع ذلك مشرق اللون جميل الوجه • يصلي الفريضة صلاة كاملة • وإذا صلّى السنة يصليها قلقاً كثير الكشف • رأيته بذلك الوصف بقرافة مصر • ودخل عندي على هذه الحالة ولم يزل في الركب في طريق الحج[6] من مصر على هذه الحالة لا يمشي مستقيماً على الطريق مع جد سير الركب إلا يدور الجبال يطلع جبلاً وينزل الوطا وهو يدور لا يتأثر لكثرة المشي ، فوفر نفسه من طلوع الجبال ولا يحمل هم عطش ولا قوت • إلى أن دخلت إلى النبي ﷺ • كنت

---

(١) في الأصل السما •
(٢) الكلام للمؤلف الصفي •
(٣) في الأصل عجمياً •
(٤) المسحوت : الجوف من لا يشبع • وربما كانت الكلمة السحتوت وهو السويق القليل الدسم (القاموس) •
(٥) نهج : لهث •
(٦) فيالأصل الحاج •

قائماً بين يدي النبي ﷺ • وإذا هو يشير إلي ، أجده جالساً مع الحائط مستقبل الحجرة لا يدور ولا ينطق ، وكان هذا آخر عهدي به رضي الله عنه •

سعد الدين حموية :

ورأيت الشيخ الإمام العارف القدورة سعد الدين[٢] بن حموية بيت المشيخة والرئاسة في أهل الطريق • وكان متعيناً في بيته بالتهجد ، وكان أعمامه وأبناء أعمامه شيوخ الخوانق بديار مصر والشام ، ومنهم الوزراء والأمراء • وكان متعززاً عن أن يحتاج إليهم ، مشتغلاً بالله وبإقامة أحكام الطريق على قدم التوكل مشتغلاً بتربية المهديين • ويسافر للبلاد وهو على هذه الحال • دخل بلاد العجم وأسلم على يديه خلق كثير من التتر • وكانت له تصانيف حسنة في علم التصوف • رأيته بمصر وابن عمه وزير الملك الكامل وابن عمه الآخر شيخ الخانقاه كبير دولة الكامل • ولم يعرج الشيخ سعد الدين عليهم ، وآخر اجتماعي به في مسجد الخَيف بمنى رضي الله عنه •

أبو محمد السجلماسي :

ورأيت الشيخ الصالح الولي أبا محمد السجلماسي كان كبير الشأن في الولاية من أعيان أمراء المغرب • تجرد ودخل في السياحات وله كرامات ، ورفيقه الشيخ الصالح الولي أبو محمد التلمساني ، كان من أكابر الأولياء ، ومن أمراء المغرب تجرد هو والشيخ السجلماني • كان كبير في الولاية في وقت واحد واصطحبا في العبادة والسياحات ، وتتج للشيخ أبي محمد التلمساني بمصر أتباع وأولاد وأثر حسن • رضي الله عنهم أجمعين •

---

(١) سعد الدين بن حموية ابن عمه وزير الملك الكامل وابن عمه الآخر شيخ الخانقاه ، وكبير دولة الكامل وهو محمد بن مؤيد بن محمد بن حموية الحموي الجويني • سعد الدين • سكنه سفح قاسيون بدمشق • وعاد الى خراسان وتوفي بها • سنة ٦٥٠ هـ - ١١٥٢ م • من تصانيفه بحر المعاني - سفينة الأبرار في لجج الأسرار وغير ذلك • هو شيخ الصوفية في شذرات الذهب ٥/٢٥١ • انظر معجم المؤلفين • ١٢/٧٠ •

أبو زكريا السبتي :

ورأيت الشيخ الصالح العارف المشهور أبا زكريا السبتي • ظهر بمصر ظهوراً كبيراً وكان له قبول عظيم يزوره الملوك والولهاء ، لا يأكل الخبز سنين كثيرة[1] إلى أن مات وله أتباع ومريدون كثيرون ، موسع عليه كثير العطاء ، خلّف أولاداً محترمين علــى طريقته رضي الله عنه • وكان كثير التعزز أول وروده لبلاد ديار مصر ، أخذ كثير من أصحابه في الأصطول • فمشى بنفسه لمن كان[2] قبله في خلاصه فلم يتخلص ، فانقطع في زاوية في القرافة علــى التجريد القوي والصلف العظيم • فما كان بعــد أيام إلا وحرك الله السلطان لزيارته ، فانتشر ذكره وازدادت عزته ، فلم يشتغل بل كان يجلس بين القبور والتــرَب التي حوله للمواعيد والزوار ويلبس أفخر ملابس الأغنياء رضي الله عنــه •

ابن قطران :

ورأيت الشيخ الصالح الفقيه ، العالم المكمل ضياء الدين عيسى التلبيسي، يعرف بابن قطران • كان صاحب استقامة واعتدال ونسك وجمال • انتفع به جماعة كبيرة أنسوا ببركته واهتدوا من بِرَع في بلاده على يده• وكان منهم الشيوخ الصلحاء وأئمة المساجد والعدول • يرد عليه أكابر الرجال لزيارته • فمن كرامته زيارة الشيخ القرشي رضي الله عنه له قاصداً من مصر وصحبته أصحابــه كلهم معه والشيخ بديــع الماردانى وأكابر الأولياء • ومــات بثغر الاسكندرية وخلف أولاداً صلحاء عدولاً رضي الله عنه • وكان سيدي الأستاذ أبو العباس مواليه ومواخيه وزاره مرة قاصداً البلدة رضي الله تعالى عنه •

---

(١) في الأصل كثيراً •

(٢) لعله يريد خلاص نفسه من الجندية •

المولــه زيادة :

ورأيت بها مولهاً يسمى زيادة[1] . كان حاله عجيباً لا يطلب من أحــد شيئاً ، ويأكل ما يُطعم . والدينار والدرهم لا يستطيع أن يراهما ولا يلمسهما ويتحيل عليه الأمراء والأغنياء يطعمونه الحلوى ويدسون فيها الدنانير . فعندما يحس بالدنانير في الحلوى ينفر ويبصقها كأنها عقرب أو رأس حية . وكان له فراسة كبيرة وأمور عجيبة يعرفها أهل بلده . وكان يجتمع في كل سفرة مــع أهله في بلبيس رضي الله عنه .

عودة المولــه علي الكردي :

ورأيت من المولهين بالشام علياً الكردي تقدمت بعض أخباره في هــذا المجموع . كان بدمشق يتحكم فيها حكم المالك إلى أن دخل رجل موله يقال له[3] ياقوت دخل الجامع من باب جيرون . فخرج علي من باب البريد للصحراء بالباب الصغير . ولم يعد يدخل دمشق إلى أن مات . وبقي ياقوت وكان شخصاً لطيف الصورة يتصرف بالبلد رضي الله عنهما .

القمْيني :

ورأيت بها القمْيني يأوي في القمّين[4] أكثر أوقاته . ويدخــل الجامع وتلحظه الأعين ، ويتحدثون بمكاشفاته . فكان لا يُرى يصلي ويفطر في رمضان وكان للناس به شغل رضي الله عنه .

---

(١) المولة زيادة . هو زيادة بن عمران بن زيادة أبو النماء تكملة إكمال الكمال ص ١٤٨ .

(٢) في الأصل أحله .

(٣) المولة ياقوت : مر ذكره عرضاً ضمن ترجمة علي الكردي في طبقات الأوليــاء للمناوي وقد نقل ذلك عن رسالة الصفي .

(٤) القمين : أتون الحمّام .

المولـه أحمـد :

ورأيت بمصر مولهاً يسمى أحمد كان كثيراً ما يأوي عند المصلى بين مصلى مصر من جهة قرافة مصر ومصلى باب الطحانين بالقاهرة ، كثير الضحك، يصلي ويضحك في الصلاة . محفوظ من السفه واللغو كثير المكاشفة، يتعرض بالسؤال (غنياً عن غير ضرورة للسؤال) نوعاً من التستر .

في رأسه كاغدة :

ولقد عبرت يوماً راكباً وكان في عمامتي كاغدة فيها عشرون ديناراً عيناً ، جاءني من القلعة من جهة الملك الكامل فسلمت عليه ورد علي السلام وضحك وقال : في رأسه كاغدة فيها عشرون ديناراً جاءته من القلعة . ومرة أخرى أنزل للسوق ألتمس سراً دابتين لطويحين كنت عملتها بالزاوية للفقراء . فعبرت عليه وسلمت عليه فرد علي السلام وقال : كيف الحمير اليوم ؟ وخاصة[1] أم غوال ؟

يبيعون حصة في فندق :

ومرة أخرى كنت على شاطىء النيل أفكر في زواج فقير كان يختص بي فعبر علي وضحك ، ووقف وقال : زواج يهتمون[2] بـه ، يبيعون حصته في فندق حتى يعملوه ، وكان ذلك : بعنا حصة كانت له أنفقنا[3] منها على زواجه رضي الله عنه .

المولـه الحلبي :

ورأيت مولهاً بالقاهرة مقعداً يُطعم ولا يصلي ، كثير الكلام على الخاطر، واشتهر بذلك إلى أن كان يُحمل لبيوت الأمراء ليسمعوا حديثه . ولقد عثرت عليه يوماً فسلمت عليه عقب اجتماعي بالشيخ خضر ، الذي كان الملك الكامل

(١) في الأصل خاص .
(٢) في الأصل يهتموا وكذلك يبيعوا .
(٣) في الأصل نفقنا .

قد اشتغل به ، فسلمت على هذا المولة فقال لي : لا تحضير ولا تقصير ، فكان معي فقير خادم رآه معي ، فبعد ذلك عبر الخادم عليه وسلم عليه . قال لـه : سلم على صاحبك ابن أخي الرفاعي . فأخبرني الخادم بذلك قلت له : صدق شيخنا تواخى[1] هو وسيدي أحمد الرفاعي في العراق ، وكان يسمى بالحلبي رضي الله عنه .

امرأة مولهـة :

ورأيت بجيزة مصر امرأة مولهة[2] ، أقامت فوق ثلاث سنين قائمة على رجليها في مكان من الأرض ، بين خلبوص الحلفاء ، ما جلست ليلاً ولا نهاراً ، شتاءً ولا صيفاً . في الصيف لا يسترها شيء في الشمس ، ولا في الشتـاء يسترها شيء عن المطر ، والحيات والثعابين حولها تأوي[3] ، تأكل ما تستطعم وتكلم من يكلمها ، وكان أمرها عجيباً وكان بجوارها في الجيزة رجل يسمى خثعم من أهل الفيّوم ، كثير الكشف تحت السماء ليلاً ونهاراً ، شتاء وصيفاً يجلس أبداً مستقبل القبلة يوفي الصلوات بأتم ما يكون ، موحش من الخلق لا يقبل إلا على من يعلم صلاحه ، كثير النفور ممن يعلم تخليطه ، أقام على هذا سنين عديدة رضي الله عنه .

ست الملوك :

ورأيت امرأة كبـيرة الشأن يعظمها الأولياء والعلماء مغربية يقال لهـا ست[4] الملوك جاءت من المغرب صحبة الشيخ أبي يوسف الدهماني ، كانت

---

(١) لعله يقصد تآخي .

(٢) في الأصل مولهاً .

(٣) في الأصل ياوون .

(٤) ست الملوك : قال الشيخ صفي الدين بن أبي منصور : رأيت امرأة كبيرة الشأن يعظمها الأولياء والعلماء مغربية يقال لها : ست الملوك زارت بيت المقدس في وقت كان فيه الشيخ الكبير علي بن غليس اليماني ، قال : كنت ببيت المقدس وإذا أنا أشهد حبلاً من نور مُدّ لي من السماء وإلى قبـة كانت في المسجد . فمشيت إلى القبة فوجدت فيها هذه المرأة ست الملوك . والنور الذي شاهدته متصل بها . فطلبت منها الأخوة فأجابت . قال هذا الكلام الإمام اليافعي في « جامع كرامات الأولياء » ٢/٢١ .

زارت البيت المقدس وكان فيه الشيخ الكبير الولي علـي بن غَلَـس اليماني كبير الشأن • قال : كنت بحرم المقدس وإذا أنا أشهد حبل نور مُدَّلى إلى قبة كانت في الحرم ، فمشيت إلى قبة كانت في الحرم ، فمشيت لتلك القبـة فوجدت فيها هذه المرأة ست الملوك ، والنور الذي رأيته مصلاها ، فخطبتها للأخوة فأجابت ، وقالت لي هذه المرأة : أودعني علي بن غَلَـس[1] إبريقاً خزفاً وقال لي : يا أختي احفظيه فوضعته على رف في البيت • وبينما أنا أنظر إليه يوماً فإذا هو قد انحل وصار شَقَـافاً من غير حركة منه ولا شيء دَكَّه فذكرت الله ، وتعجبت من أمره وقمت ، جمعته وربطته في خرقة وورخت[2] تلك الساعة فبعد أيام جاء خبر الشيخ علي بن غَلَـس بأنه مات بدمشق في تلك الساعة •

يدب في ليلـة القدر :

وقال لي يوماً : يا بني ! هَلّ عليّ هلال رمضان ، فساعة رؤيته وثبوته أطلعني الله تعالى علـى ليلـة قدره أي ليلة هي وعَرَّفني بهـا فتحققتهـا فلما كانت الليلة المعنية ليلة القدر ، كنت أهرب منها كما يهرب الغريم من غريمه: وأنوارها تحرسني وتتبـع من عيني وأنا أقول : وعزتك يا رب وجلالـك ، ما أحتاج معك إلى ليلة القدر ، إلى أن انقضت • وكان لها حرمة عند أكابر الأولياء يرونها رضي الله عنهم •

سفيان اليماني :

ورأيت الشيخ الصالح الولي سفيان[3] اليماني من الأكابر وأرباب الهمم•

---

(١) علي بن غلسي راجع جامع كرامات الأولياء ٢/١٩٧ أخو عمر • كان عظيم الشأن ترك أبريقه عند امرأة من الأولياء فتكسر فصار شقفاً بلا فعل فأرخ ذلك اليوم • فكان يوم موته بعينه • قاله المناوي •

(٢) أي أرخت •

(٣) راجع جامع كرامات الأولياء ٢/٢٧ • هو أبو محمد سفيان بن عبد الله الأبيني اليمني أحد مشاهير الأولياء • مات أواخر القرن السابع • قاله المناوي • وقال الزبيدي في طبقات الخواص ص ٥٦ و ٥٧ بعد أن ذكر شيئاً من حياته وكراماته قال : وذكر الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور المصري في رسالته التي ذكـر فيها من اجتمع فيه من الأولياء قال : وممن رأيت الشيخ الصالح الولي سفيان اليماني •

وكان معمر الأوقات بالصلوات • ظهر من جهة اليمن بعد وصوله لديار مصر وحجه • وادعوا فيه كثرة الهداية لما رأوا من كراماته وتحكماته • قال له شخص • يا سيدي : ادع لي قال له : لا تقل هذا إنما ادعوني أستجب لكم • وهذا من[1] إطلاقهم الذي يحتاج إلى ايضاح • لمن يشكل عليه حديثهم رضي الله عنه •

الشيخ قحطان :

ورأيت من رجال اليمن رجلاً كبير الشأن من أجلاء وأصحاب الشيخ الإمام القدوة أبي الغيث[2] رضي الله عنه يقال له قحطان كان من أكابر الأولياء ، كثير الاستقامة مستمر الاشتغال بالله له كرامات لا نذكرها[3] من كثرتها ، ومات ببلبيس من ديار مصر رضي الله عنه •

أبو عبد الله الشاطبي :

ورأيت الشيخ الصالح الولي أبا عبد الله محمد الشاطبي بثغر الاسكندرية الذي كان في محرس سوار مكان الشيخ المعظم أبي العباس الراس ، تولى هذا المكان المشهور بعد الشيخ أبي العباس خادمه الكبير المشهور أولاً أبو عبد الله محمد الشاطبي الكبير الذي تقدم ذكره ومات بمكة • وولي المكان بعده الشيخ عمر التلمساني مدة يسيرة ، ثم ولي فيه هذا الشيخ محمد الشاطبي الثاني ، واشتهر فيه شهرة كبيرة وأقام فيه مدة سنين • وعلت كلمته وانحازت الاسكندرية له ، وكثر أصحابه ، وولاهم أكثر محارس البلد ومساجدها • وكان له قبول كثير • ومات بالمحرس ودفن مع الشيخ الكبير في تربته • وكان

---

(١) أي هذا الكلام •

(٢) أبو الغيث : راجع روض الرياحين فيحكايات الصالحين لليافعي اليمني ص٢٧٨•
هو أبو الغيث بن جميل اليمني • كان ينكر السماع ويقاتل من يتعاطاه في أول أمره • ثم رجع عن ذلك بعد حال أخذه •

(٣) في الأصل : له كرامات نذكرها من كاثرة •

قد تقدم له اشتغال بالعلم ، حسن الأخلاق حلو الصورة عظيم الهيبة رضي الله عنه .

أبو العباس الدمنهوري :

ورأيت الشيخ الصالح أبا العباس الدمنهوري . انتقل إلى ثغر الاسكندرية مدة ثم انتقل الى القاهرة . له بدايات معتبرة ومجاهدات هايلة وتصرفات نافذة كثير المكاشفات موسع عليه ، مسخر له رضي الله عنه .

عبد المنعم تقي الدين :

ورأيت الشيخ الصالح العارف عبد المنعم تقي الدين ، من أهل القاهرة ، صحب جماعة من الشيوخ المعتبرين ، كثير الفتوة ، كثير السعي في قضاء حوائج الناس ، نافذ المقاصد وكان يتسبَّبُ في الخيم[1] . وكان الأمراء والوزراء والقضاة يعتقدونه ، ويستجلب منهم الراحات للفقراء ، ومما كان من فنونه مع الأصحاب أن صديقاً له كانت له جارية يحبها ، فحصلت منه غفلة باعها وانفصلت بالكلية بالبيع الصحيح ، وسافر بها المشتري إلى الصعيد ، فثارت محبتها في قلب الذي باعها ، بحيث بقي لا ينام ولا يأكل وخيف عليه التلف ، واطلع الشيخ تقي الدين عبد المنعم على حالته ، فسافر بنفسه إلى الصعيد ، ولم يعلم أحداً به مع سعة دايرته مع الأولاد والأهل وتعلق قلوب الناس به ، وتردادهم إليه مع الحوائج ، وشغل خواطر الأكابر به ، وسافر مسرعاً إلى أن وصل إلى قوص فارتجت قوص لوروده ، وحضر لخدمته متوليها وقاضيها وأكابرها ، وسألوه عن سبب سفره وحضوره ، فأخبر من له نفوذ أمرٍ بأنه جاء بسبب شراء جارية من فلان . فللوقت أحضر ، وطلبت منه فأجاب فعاقده عليها العقد الشرعي الذي صارت به في ملكه وأعتقها ، وطلب منه سيدها الثمن فوعده بالصبر ، وأخبره بأنها صارت حرة . فأطلع أكابر أهل البلد على شرائه للجارية فللوقت أحضروا له ثمنها وأعطوه للبائع لها عن الشيخ . فأخذها الشيخ في أسرع وقت

---

(١) يبيع الخيام أو يبنيها .

وجاء بها للذي كانت له ، وتلف عقله عليها • فزوجها له ورد عليه عقله ودينه• وكانت هذه الحركة وأمثالها دأبه وتصرفاته رضي الله عنه •

أبو القاسم الصقلي :

ورأيت بدمشق وبمصر الشيخ الصالح الولي أبا القاسم الصقلي كان من الأكابر ، أدرك الأكابر من الرجال ، كثير الانقطاع • طريقه التوكل الحسن النظيف ، متعززاً بالله مشهوراً بالعبادة من بدايته إلى كبره ، وحين كان بدمشق وكنت بها شاباً أحب الصالحين • فكنت ألازمه ، ويحكي لي حكايات القوم ، ويعلمني الأوراد ،وكان سني حينذاك أربع عشرة سنة وكنت على هيئة أهل الدنيا قبل صحبتي لسيدي الأستاذ أبي العباس الحرار الذي تجردت على يده وصحبته رضي الله عنهم أجمعين •

أبو الطاهر اسماعيل :

ورأيت بالاسكندرية الشيخ المحقق الواجد أبا الطاهر اسماعيل الذكر[1] الذي كان من فحولة القوم وسافر في البلاد إلى أن سكن ثغر الاسكندرية ، وحصل له بها حرمة وظهور وقبول وأصحاب • وكان إدراكه سنياً ، ومرماه علياً • وسافر للمغرب ونزل بتونس • وحصل له بها قبول • ومات بها رضي الله عنه ، وكان من بين أصحاب الشيخ أبي صالح شديد الحال ، قوي الباطن ، لا يذعن لأحد من صغره • دخل على مصر أول وروده وليس في وجهه شعرة ، وهو همته كهمة أكابر الشيوخ ، وكانت له معي أخوة وصحبة سنين كثيرة نفع الله به ورضي عنه آمين •

أبــو لقوط :

ورأيت بمكـــة الشيخ الصالح أبا القوط[2] ويقال بالراء ، من أكابـــر

---

(١) لعله يقصد المذكور •
(٢) بالراء اي أبا رقوط •

أصحاب الشيخ أبي محمد صالح • كثير الأحوال مجاب الدعوات ، نافذ الهمة، وكان الشيخ صالح يعظمه ويثني عليه • أقام بمكة سنين على التجريد الصحيح والأحوال السنية وكان لي[1] منه نصيب وماجرياته مباركة • ولما جاء الشيخ الإمام شيخ شيوخ الإسلام شهاب الدين إلى مكة نزل في رباط رافشت[2] فهو جالس يوماً على سجادته على مصطبة الرباط وإذا أنا في لكوط جاء إليه وتعرى ورمى نفسه بين يديه مضطجعاً على ظهره منسبلاً كأنه ميت فتقدم الشيخ إليه ومسح بيده عليه وقال : قم يا عبد الله••عبد الله• فاستيقظ من غشيته ، وقبل بين يديه • وأثنى الشيخ شهاب الدين عليه بما أدرك منه • ولهذا الشيخ أبي لكوط حكايات كثيرة يحكيها عنه أصحابه رضي الله عنهم ونفعنا بهم •

الشيق صديق :

ورأيت بها الشيخ العابد المعظم صديقاً • كان كبير الشأن كثير المعاملات لا يظهر بالنهار ، يصلي مع الجماعة ، في مكانه شباك يرى منه الجماعة • ويطوف بالليل • وكان له قبول وموارد متسعة يصرفها على المجاورين • وكان يعم بصدقاته سائر من في الحرم في أوقات متعددة في السنة رضي الله عنه •

الشيخ ابو السعود :

وسمعت[3] في حياة سيدي الأستاذ أبي العباس الحرار ذكر فقير منقطع يقال لـه أبو السعود • كان بينـه وبين سيدي الأستاذ الشيخ صحبة ووداد للشيخ • فلما انتقل سيدي الشيخ وانبسطت نفسي حين ذاك للاجتماع بالناس ورؤية المشايخ • مشيت لزيارة الشيخ الإمام الوحيد القطب أبي السعود رضي الله عنه • فدخلت مسجده وكنت وحدي ولم أكن رأيته من قبـل ذلك • فنزل للصلاة فسلمت عليه فنظر إلي وقال : لعلك تكون الصفي صهر الشيخ أبي

---

(١) لعله اسم مكان •
(٢) المؤلف •

العباس قلت له : نعم • فأقبل علي وطلع إلى منزله ، وألّفني بإحسانه وقبوله ، فتألّفت به ، ووانسني فصرت أتردد إليه ، وأبيت عنده • ولم يكن بعد ، ظهر الظهور الذي ظهره بعد ذلك • وربما بتّ معه عنده تحت اللحاف • وكان يفتّ لي بيده الكنافة وآكلها أنا وهو وحدنا في رمضان • وحدثني بداية أمره قال : كنت أزور شيخك الشيخ أبا العباس وجماعة صلحاء من مصر ، فلما انقطعت واشتغلت وفتح علي لم يكن لي شيخ سوى رسول الله ﷺ ، وأول فتحي في معنى قول الحق سبحانه « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » • وحدثني تفاصيل فتحه وما أعطاه الله ومنحه ورفعه إليه وكل ما جرى منها • وكلمني بواسطة النبي ﷺ في اسراءاته ومعارجه ، وايضاح حال الملكوت وأسرار الملك وأحوال الآخرة وتفاوت المنازل والدرجات وأوزان الرجال ومراتبهم من آدم عليه السلام إلى القيامة • يذكر له الرجل في المغرب أو مطلع الشمس فيذكر له صورته ووزنه وما من شيء طرق الأسماع خبره ، وما من الغيوب إلا والشيخ أبو السعود يوضح كيف اطلع عليه[1] وانه في كل صباح تصحبه أرواح الخلائق ، وان له نوبة كوسات[2] تضرب في الأرض ، وفي كل سماء وعلى العرش خدمة له وأنه يصافح النبي ﷺ عقب كل صلاة فعم ذكره عظيم كبير واتسعت دائرته واستجاب له الخلق وظهر نفعه وبركته • كان قد لزم ذكر الله سبحانه من أول توجهه وخلوته إلى أن انتقل وانتشر الذكر عنه إلى أن عم البلاد والعباد • وكانت شواهد صحته واستقامته وفنائه في ذات الله لم يكن من شعرة تلتفت عن وجهته للوجود ، كل ذلك كان دالاً على صحة ما أخبر به عن نفسه ، ثم الكشف الدائم في الأصحاب والوقائع ، غني لا يظهر فقراً ، مليء لا تلحظه حاجة ، مجموع لا تلحظه تفرقة ، منزه عن تأثيرات

---

(١) وكذا كانت حالة الشيخ محي الدين بن عربي فإنه كان يذكر له الشخص في مكان بعيد فينعته بوصفه وذلك بنور يقذفه الله في بصيرته فيراه عن بعد كأنه قريب فيخبر بما شاهده من حاله • ذكر ذلك الشيخ محي الدين لتلميذه الصدر القونوي •

(٢) الكؤس والكوسات : صنوج كالترس من النحاس يدق عليها بايقاع موسيقي •

(٣) ربما يريد بشكل عظيم •

الحوادث التي تطرق الأكثرين . منذ انقطع لم يخرج إلا للجمعة وللحج . وحج حجاً سعيداً وجرت له كرامات عظيمة ولم يمش لبيت أحد قط إلا لبيتي بمصر مرة ، ومرة زار فيها الشيخ أبا الفتح الواسطي لما ورد القاهرة لسبب علم له فيه . كان يرى أنه أحد السبعة الملوك . ولم يجتمع به بعد ذلك . وهذه جمل نستعيض بها عن ذكر تفاصيل يطول ذكرها . واعتقدته أيام صحبته وكانت يسيرة فيا ليتها دامت رضي الله عنه .

تم الكتاب بحمد الله ومنه . وكان الفراغ منه في يوم الأربعاء مستهل شهر صفر المبارك سنة أربعين وثمانمائة أحسن الله خاتمتها وعممها في خير وعافية .

عليه الفقير الى رحمة ربه الراجي عفوه محمد بن محمد بن يوسف الهداني رحم الله من دعا له بالرحمة والمغفرة وللمسلمين أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آلـه وصحبه أجمعين حسبنا الله ونعم الوكيل[1] .

ومما حكاه[2] الشيخ الإمام صفي الدين مؤلف هذا الكتاب رضي الله عنه قال : حكى لي الشيخ أبو الحسن[3] بن الدقاق عن شيخه العجمي رضي الله عنه أنه دخل بغداد على الشيخ عمر الراز فوجد رجلاً قائماً في مجلسه عند الباب يعدل أوطية الجالسين . فلما قعد الشيخ العجمي مع الشيخ عمر قال له : ما تعرف هذا القائم ؟ قال له عمر : نعم هذا الخضر ، ووقع له أني ما عرفته .

غـار غـيرة حسد :

وكنت في صحبة سيدي الأستاذ أبي العباس الحرار . وكان لـه خادم يخدمه قبلي ، لم يلتزم التزام الإرادة والحكم . فلما صحبت الشيخ على قدم الارادة ، وأقبل عليّ ، وكان قد تقدم للشيخ العلم بي قبل أن أصحبه . فلما

---

(١) هذا كلام الناسخ محمد بن محمد بن يوسف .

(٢) هذا مما أضافه الناسخ على الكتاب .

(٣) الحسن بن الدقاق : أبو عبد الله من أهل سلجلماسة تردد الى فاس وهو من أشياخ أبي مدين . راجع جذوة المقتبس ص ١٥٩ وسلوة الأنفاس ٣/١٠٢ وقد مر ذكره .

رأى الخادم اقبال الشيخ علي غار غيرة حسد ، فاطلع الشيخ على ما غلب على الخادم من الحسد فانتهره نهرة ما حملها ، فخرج فاراً وسافر للصعيد ، فدخل على هذا الشيخ أبي الحسن بن الدقاق زاويته وبات عنده • قال الشيخ أبو الحسن بن الدقاق : فبقيت متعجباً من فراقه للشيخ أبي العباس الحرار فلما كان في الليل وإذا بالشيخ حبيب[1] صاحب الشيخ العجمي جاز أمراً فوقع نظره على الخادم فقال : يا أبا الحسن أي ابليس أبي العباس عندك قلت له : ولأبي العباس ابليس ؟ قال : نعم كل شيخ له دائرة ينشأ فيها ابليسها وآدمها وقد انتشأ عنه آدمها : أبو العباس آدم دائرته ، وهـذا ابليسها ، فأصبحت جهزته للسفر حتى سافر •

عبد الرحمن النويري الشهيد الناطق :

ومما حكى رضي الله عنه عن الفقيه عبد الرحمن النويري رحمه الله : بينما هو ذات يوم ، وإذا بشخص مغربي كان قد رآه • فعندما رآه صاح وصعق ساعة فلما أفاق قال له من حضره : ما بالك ؟ قال : هذا الرجل أراه في بعض الأوقات جالساً مع شيخنا أبي محمد صالح في أسفي[2] • قال : ولما حضرت الغزاة بدمياط قال الفقيه عبد الرحمن النويري لأصحابه في النويرة[3] وأهله وبنيه : من أراد الشهادة فلعول عليها ، فخرج أحد أولاده معه وجاء إلى مصر • فنزل في جامع غبن وزرته حين ذلك وما رأيته قبل ذلك • ولما حضر إلى دمياط نزل في الميدان بخيمته • فلما زحف الفرنج للميدان وغلبوا من كان فيه • هرب من هرب وبقي الفقيه عبد الرحمن في خيمته هو وولده إلى أن دخلوا وقتلوه هو وولده فلما كان بعد ذلك وهزم العدو واصطلح بذلك مع

---

(١) الشيخ حبيب صاحب الشيخ العجمي روض الرياحين في حكايات الصالحين والحكاية الخامسة والخمسون بعد المائتين ص ٢٦٠ •

(٢) بلدة على شاطىء البحر المحيط بأقصى المغرب • مراصد الاطلاع ١/٧٥ أسفي بفتحتين وكسر الفاء بلدة على شاطىء البحر المحيط بأقصى المغرب معجم البلدان ١/١٨٠ •

(٣) النويرة بلفظ تصغير النار ناحية بمصر معجم البلدان ٥/٣١٢ •

العدو وسافر شخص من أهل النويرة يتجر ، دخل عكة (عكا) وعرض بضاعته. فجاء إليه أفرنجي اشتراها منه وقال له : امش معي تأخذ ثمن بضاعتك . فمضى المسلم التاجر مع الافرنجي إلى منزله الى أن دخل معه إلى بيته . فلما أن وجد المسلم وحده وماله في بيت الافرنجي خاف ففهم الافرنجي عليه فقال له : يا مسلم لا تخف أنا مسلم مثلك ثم ذكر الشهادة فقال الافرنجي له : أنا الذي قتلت الشيخ عبد الرحمن النويري : دخلت عليه خيمته وضربت عنقه حتى مات. ثم قلت له بعد أن مات: ياقسيس المسلمين أنتم تقولون في قرآنكم « ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » . قلت ذلك بطريق التهكم . قال الفرنجي : ففتح الفقيه عينيه وقال بصوت قوي مرتفع : نعم أحياء عند ربهم يرزقون ، ثم سكت .

بعدما رأيت وسمعت ما سمعت نُزع الكفر من قلبي وأسلمت على يديه. وأرجو أن الله يغفر لي ببركته واسلامي على يديه . وعندي مصحفه وسيفه . فلما رأيتك قلت : إن هذا من أهل بلده أردت أن أعرفك حالي وحاله ، ولعلك تقدر ثمناً لهذا السيف والمصحف وتأخذه لتوصله إلى ورثته رضي الله عنه .

عبد السلام القلبيني :

ومما حكى رضي الله عنه عن الشيخ عبد السلام[1] القلبيني رحمه الله أنه سافر مرة وغاب زماناً كبيراً مدة سنين . ثم عاد ومعه جمع كبير فوق المائتين ، ونزل في القاهرة في مسجد بالكافوري فطلعت فلما رآني قال : أنت حي ؟ ما ظننتك إلا ميتاً مع الأخيار بلغني موتهم فأنشدته :

فأصبحت في فرد[2] الكنانة واحداً ... سيرمى بـه أو يكسر السهم راميه

فأخذه على سماع هذا البيت حال وقال لي : اكتبوه لي حتى أحفظه . ودعوته إلى زاويتي بالقرافة . واتفق أن جاءني ذلك اليوم والوزير تاج المعروف بابن

---

(١) عبد السلام القابيني : ٦٩/٢ كرامات الأولياء . أخذ عن سيدي أحمد الرفاعي من كراماته أنه كان يمشي بالبحر بثيابه فلا يبتل . قاله المناوي .

(٢) الأصح أرض .

بنت الصاحب الأعز (وكان ابن عمتي) ، والصاحب بهاء الدين . حكيت لكل واحد منهما ما رأيته من كرامته ، وما حصل لـه في هذه السفرة قبول كبـير وراحات متسعة ، وخلف أولاداً صالحين وأتباعاً مباركين وكـان من أصحاب الشيخ عمران خادمه . وكنت إذا زرت الشيخ يقبل علي ويقول : أهلاً بالأمير، وحكى له أن والده اسمه أبو الغنايم[1] وأنه كان يوماً عند سيدي أحمـد الرفاعي[2] : وسيدي أحمد في حجر والده أبي الغنايم وهو يحتضنه ، وبـين يدي سيدي أحمد في ذلك من الفقراء ما يزيد على عشرة آلاف . فقال له : والدي أبو الغنايم : يا سيدي أحمد الله على ما أنعم عليك فقال له السيد أحمد يا أبا الغنايم ! النعم كثيرة إلى أيها تشير ؟ قال : يا سيدي ! لتأليف هذه القلوب عليك ونفعهم بك فقال له السيد أحمد : حشرت مع فرعون وهامان إن خطر في سري أن لي فضيلة على أحد منهم رضي الله عنهم أجمعين .

هذا آخر ما وجدته من كلام سيدي الشيخ الإمام الولي العارف الأوحد الفريد صفي الدين بن أبي المنصور رضي الله عنه . نفعنا ببركتـه والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه. وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . أستغفر الله.

تمت والحمد لله رب العالمـين

---

(١) أبو الغنايم الدمشقي المسلم بن عبد الوهاب . راجع الجواهر المضيئة ٢/١٧٣ وتكملة اكمال الكمال لابن الصابوني ص ٢٩٧ . توفي سنة ٦٣٥ دفن بتربة باب الصغير بدمشق .

(٢) أحمد الرفاعي : راجع الأعلام للزركلي ١/١٦٩ والنبهاني في جامع الكرامات ١/٢٢٥ ووفيات الأعيان لابن خلكان بولاق ١/٦٨ ومعجم المؤلفين ٢/٢٥ . والكوهين جامع الكرامات العلية ص ٧٧ وروضة الناظرين للكوثري ص ٥١ . وطبقات الشعراني ١/١٢١ . مؤلفاته كثيرة منها البرهان المؤيد . طبع مراراً و « حالة أهل الحقيقة مع الله » وكتاب « البراكين » وغيره . وهو أحمد بن يحيى الرفاعي الحسيني أبو العباس الإمام الزاهد مؤسس الطريقة الرفاعيـة ولد سنة ٥١٢ هـ ـ ١١١٨ م وتوفي سنة ٥٧٨ هـ ـ ١١٨٢ م وكتب في سيرتـه رسائل حافلة منها السيد أحمد الرفاعي لعبد الله العيد روس طبع بمصر بالمطبعة اليوسفية . وقـد أكثر في زماننا الفضلاء مـن نشر كتب أبي الهوى الصيادي والسيد الرواس اللذين يعدان لسان أحمد الرفاعي اليوم .

المحتوى

دليل الأعلام

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ج ـ

ـ ح ـ

ـ خ ـ

ـ ذ ـ

ـ ر ـ

دليل الأماكن

أسمـــاء المراجـع

القرآن الكريم .

الحديث النبوي الشريف .

الشهاب الثاقب للسيوطي .

معجم الأدباء لياقوت الحموي .

فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي .

القاموس المحيط للفيروزأبادي .

(فك الأزرار عن عنق الأنوار ، وهتك الأستار عن معادن الأسرار) .
لأبي بكر اليمني (مخطوط في الظاهرية رقم ٣٩٨٤) .

ايضاح المكنون لإسماعيل باشا البغدادي .

معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة .

تاريخ الأدب العربي ــ الذيل ــ لكارل بروكلمان .

نفح الطيب لأحمد المقري المالكي .

تنبيه الغبي لجلال الدين السيوطي .

روض الرياحين في حكايات الصالحين لليافعي اليمني .

جامع كرامات الأولياء ليوسف بن اسماعيل النبهاني .

تكملة إكمال الكمال لابن الصابوني .

الأعلام للزركلي .

تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم محمد الحفناوي .

البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، لأبي عبد الله بن محمد المليطي .

جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس لابن القاضي الملقب بابن مريم
نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي .
شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف .
شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي .
عنوان الدراية فيمن سكن في بجاية لأحمد بن أحمد الغبريني .
دائرة المعارف الإسلامية لجماعة من المستشرقين (النص العربي) .
سلوة الأنفاس لمحمد بن جعفر الكتاني .
أنس الفقير وعز الحقير لابن قنفذ القسطنطيني .
المواعظ والاعتبار ، المشهور باسم خطط المقريزي .
طبقات الأولياء لعبد الرؤوف المناوي (المسمى بالكواكب الدرية) .
الطبقات الكبرى لعبد الوهاب بن أحمد الشعراني .
مراصد الاطلاع لابن عبد الحق البغدادي (مختصر معجم البلدان) .
العبر في خبر من غبر ، لمحمد بن أحمد الذهبي .
الوافي بالوفيات لخليل بن ايبك الصفدي .
رسالة شرح الوصايا اليوسفية لمحيي الدين بن عربي (مخطوط في الظاهرية) .
الفتوحات المكية للشيخ محيي الدين بن عربي .
طبقات الشافعية لعبد الرحيم الأسنوي .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة للتغري بردي .
وفيات الأعيان لابن خلكان .
المعزة فيما قيل في المزة لابن طولون .
مرآة الزمان ليوسف بن قزاوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي .
ذيل الروضتين لعبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة المقدسي .
التراث الروحي في مصر لمحمد عبد المنعم خفاجي .
نفح الطيب للمقري .

البداية والنهاية لابن كثير .
مرآة الجنان وعبرة اليقظان لعبد الله بن أسعد اليافعي .
تاريخ السليمانية لمحمد أمين زكي .
بهجة الأسرار ومعدن الأنوار ليوسف اللخمي .
قلائد الجواهر ليحيا التادفي .
تفريج الخاطر في مناقب تاج الأولياء عبد القادر لعلي القاري .
الحلل السندسية في تاريخ الصالحية لابن طولون .
الدارس في أخبار المدارس لعبد القادر النعيمي .
جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف للمنوفي .
ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء لأحمد بن الخياط .
جوهرة البيان في نسب قضيب البان ، لشرف الدين العبدلي .
منهل الأولياء لمحمد أمين العمري .
الانتصار للأولياء الأخيار ليوسف الملا العبد الجليل الموصللي .
بهجة الأسرار لعبد القادر كيلاني .
التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات .
كشف الخفاء لاسماعيل العجلوني .
المقاصد الحسنة لشمس الدين السخاوي .
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأحمد بن علي بن حجر القسطلاني .
الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري .
ميزان الاعتدال ، في نقد الرجال لشمس الدين الذهبي .
سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي .
أنس الفقير وعز الحقير لابن قنفذ .
الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي رسالة مخطوطة من المؤلف .
مختصر الدرة الفاخرة لابن عربي (مخطوط) .

أعلام الاسكندرية لجمال الدين الشيال .
تنقيح روضة الأزهار لعبد السلام الأسمر .
منية السادات الأبرار لكريم الدين الخلوتي .
طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي .
حلية الأولياء ، وطبقات الأصفياء لابن نعيم الأصفهاني .
صفة الصفوة لابن الجوزي .
طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي .
تاريخ بغداد للخطيب البغدادي .
المفاخر العلية في المآثر الشاذلية لابن عباد .
نكت الهيمان في أخبار العميان للصلاح الصفدي .
نور الأبصار في مناقب آل البيت الأخيار للسيد الشلبجي .
جامع الكرامات العلية لمحمد الكوهن .
كشف الأسرار ومكاشفات الأنوار لعبد الوهاب الشعراني .
لسان الميزان لابن حجر العسقلاني .
جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للحميدي .
روضة الناظرين لأحمد بن محمد الوتري .
السيد أحمد الرفاعي لعبد الله العيد روس .
طبقات الخواص للزبيدي .
الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية لعبد القادر بن محمد القرشي .
البرهان المؤيد للسيد أحمد الرفاعي .
كبرى اليقينات الكونية لسعيد رمضان البوطي .
الإرشاد لليافعي .
تهذيب التهذيب لابن حجر .

الانتقاد لابن عبد البر .

اللباب لابن الأثير .

معجم المطبوعات لزياد سركيس .

خطط الشام لمحمد كرد علي .

ميزان الذهب في صناعة شعر العرب لأحمد الهاشمي .

الموسوعة العربية الميسرة .

معجم البلدان لياقوت الحموي .

الفهـرست

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

تحيـــة وشكـــر

للأستاذ رياض مصطفى العبد الله على مساهمته في إخراج الطبعة الأولى من هذا الكتاب الفريد ـ والعناية بطبعه وتصحيحه فنياً ..
وتقديمه إلى قراء السيرة .

كما نشكر كل من ساهـــم من العاملين في إخراج هذا الكتاب..

والله الموفـــق والمستعـــان